من المعجم البيانى
لألفاظ القرآن الكريم
« الكتاب الثانى »

العلم والفقه والمعرفة
فقه دلالتها واستعمالها
فى القرآن الكريم

الدكتور محمود موسى حمدان

مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية . عابدين
القاهرة - تليفون ٣٩١٧٤٧٠

الطبعـة الأولى

١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

« الحمد لله رب العالمين - الرحمن الرحيم » والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين . «وبعد»

فهذا هو الكتاب الثانى (العلم والفقه والمعرفة ، فقه دلالتها واستعمالها فى القرآن الكريم) من سلسلة ما نتناوله من المعجم البيانى لألفاظ القرآن الكريم ، بعد الكتاب الأول عن (الإتيان والمجئ ، فقه دلالتهما واستعمالهما فى القرآن الكريم).

وقد سارت هذه الدراسة على نهج سابقتها من تتبع مادة الأفعال الثلاثة (علم، وفقه ، وعرف) فى القرآن الكريم ، لاستبانة ما بينها من فروق فى الدلالة ، وتنوع فى الاستعمال ، وإدراك أن كل لفظة منها فى البيان القرآن لايفى عنها غيرها فى إفادة بيان مراد التنزيل الحكيم .

وهى فى ذلك تدرك أن القدرة العلية على وضع كل كلمة من هذه الكلمات ، فى موضعها من النظم القرآنى - يناسب جلالها صفاء النفس والذهن ، وارتقاء المدارك إلى آفاقها ، لتنال من أسرار ذلك النظم ، على قدر ما يريد لها العلى القدير.

وإذا كان القرآن الكريم هو مصدر هذه الدراسة تدبرا وفهما فى ضوء الرؤى الواعية لمراقى التزيل الحكيم - فقد وجدنا من آراء المفسرين - خاصة الزمخشرى - ماساعد على فقه معانى هذه الكلمات الثلاث ، ونكتة استعمالها فى مواضعها من الذكر الحكيم.

كما كان لما ذكره أهل اللغة من المعانى المعجمية لهذه الكلمات قيمته فى تمييز بعضها عن بعض ، رغم امتلائها بتفسير الألفاظ بما هو أعم من مفهوماتها .

وقد جاءت هذه الدراسة فى ثلاثة مباحث :

« المبحث الأول » الفرق بين العلم والمعرفة .

« المبحث الثانى » الفرق بين العلم والفقه .

« المبحث الثالث » الفرق بين المعرفة والفقه .

وقد مهدنا لهذه المباحث بذكر المعانى المعجمية للكلمات ، ثم أتبعناها بخاتمة، أوجزنا فيها خلاصة ما قدمناه فى هذه الدراسة .

والله من وراء القصد ، وهو الهادى إلى سواء السبيل .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

المؤلف

د/ محمود حمدان

« **تمهيد** »

المعانى اللغوية لمادة الكلمات الثلاث

(علم . عرف . فقه)[١]

١- العلم :

جاء فى كتاب الأفعال للسرقسطى « علمت الشىء وبالشىء علما عرفته ، وأيضا ، اختبرته ، وعلمت فلانا كريما وجدته ، وعلمت الشىء من غيره ميزته »[٢]

وجاء فى اللسان « من صفات الله عز وجل - العليم ، والعالم ، والعلاّم ، قال الله عزوجل : ﴿وهو الخلاق العليم﴾[٣] وقال : ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾[٤] وقال : ﴿عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾[٥] ... والعلم نقيض الجهل ... وعلمت الشىء أعلمه علما عرفته ، قال ابن برى : وتقول علم وفقه ، أى : تعلم وتفقه ، وعلم ، وفقه ، أى ساد العلماء والفقهاء ...

وعلم بالشىء شعر ، يقال : ما علمت بخبر قدومه ، أى : ما شعرت وعلمت يتعدى إلى مفعولين ، ولذلك أجازوا علمتنى ، كما قالوا : ظننتنى ، ورأيتنى ، وحسبتنى ، تقول : علمت عبدالله عاقلا ، ويجوز أن تقول : علمت الشىء ، بمعنى عرفته ، وخبرته ... »[٦]

---

(١) لم نراع الترتيب التاريخى للعلماء ، وإنما قدمنا ما يغلب عليه تفسير الكلمة بأعم من مفهومها .
(٢) الأفعال للسرقطى ١/٢٢.
(٣) من الآية ٨١ سورة يس .
(٤) من الآية ٦ سورة السجدة .
(٥) من الآية ٤٨ سورة سبأ .
(٦) لسان العرب ٣٠٨٣، ٣٠٨٤.

ويفسر الزمخشرى العلم بمعنى الشعور ، قال : « ما علمت بخبرك ، أى ، ماشعرت به » [١]

وقال الزبيدي : علمه ، كسمعه علماً ، بالكسر ، عرفه .. وقولهم : وعلم به كسمع : شعر ، صريح فى أن العلم ، والمعرفة ، والشعور ، كلها بمعنى واحد .. والأكثر من المحققين يفرقون بين الكل ، والعلم عندهم أعلى الأوصاف ، لأنه الذى أجازوا إطلاقه على الله تعالى »[٢]

ويقول أبو هلال العسكرى عند تفريقه بين العلم واليقين : « العلم هو اعتقاد الشيء على ما هو به على سبيل الثقة ... ثم يفرق بينه وبين الشعور : بأن الشعور علم يوصل إليه من وجه دقيق كدقة الشعر ، ولهذا قيل للشاعر : شاعر ، لفطنته لدقيق المعانى ... » [٣]

ويقول الراغب فى المفردات :« العلم إدراك الشيء بحقيقته ، وذلك ضربان : أحدهما ، إدراك ذات الشيء ، والثانى ، الحكم على الشيء بوجود شيء ، هو موجود له ، أو نفى شيء هو منفى عنه ، فالأول ، هو المتعدى إلى مفعول واحد ، نحو : ﴿ **لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ** ﴾ [٤] والثانى ، المتعدى إلى مفعولين ، نحو قوله : ﴿ **فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ** ﴾ [٥]... والعلم من وجه ضربان : نظرى وعملى، فالنظرى ما إذا علم فقد كمل ، نحو العلم بموجودات العالم ، والعملى ما لا يتم إلا بأن يعمل ، كالعلم بالعبادات، ومن وجه آخر ضربان : عقلى وسمعى .. »[٦]

---

(١) أساس البلاغة ٣١٢.
(٢) تاج العروس ٨/٤٠٥.
(٣) الفروق فى اللغة ٧٣، ٧٤ .
(٤) من الآية ٦٠ سورة الأنفال .
(٥) من الآية ١٠ سورة الممتحنة .
(٦) المفردات فى غريب القرآن ٣٤٣.

٢- المعـــــرفـة :

جاء فى كتاب الأفعال للسرقسطى : عرفت الشىء عِرْفَةً وعرفانا ، وعرُف على القوم عرافة ، صار لهم عريفا ، وعرف عند المصيبة صبر ... » [١]

وجاء فى اللسان « العرفان : العلم ... ورجل عروف وعروفة عارف يعرف الأمور ، ولا ينكر أحداً رآه .. والعريف والعارف بمعنى . مثل عليم وعالم ، قال طريف بن مالك العنبرى :

أو كلما وردت عكاظ قبيلة بعثوا إلى عريفهم يتوسم

.... وفى حديث ابن مسعود ، فيقال لهم : هل تعرفون ربكم ، فيقولون : إذا اعترف لنا عرفناه ، أى إذا وصف نفسه بصفة نحققه بها عرفناه ... وتعرفه المكان وفيه تأمله به ، أنشد سيبويه :

وقالوا تعرفها المنازل من منى وما كل من وافى منى أنا عارف

والمعروف ضد المنكر ... وهو اسم جامع لكل ماعرف من طاعة الله والتقرب إليه ، والإحسان إلى الناس ... والأعراف فى اللغة جمع عرف ، كل عال مرتفع .. وعرف الأرض ما ارتفع منها ، والجمع أعراف » [٢]

وقال الزبيدى : عرفه يعرفه معرفة وعرفانا بالكسر فيهما ، وعرفانا بالكسر فيهما مشددة الفاء علمه ... ثم ذكر كلام الراغب » [٣]

وقال أبو هلال العسكرى « المعرفة أخص من العلم ؛ لأنها علم بالشىء مفصلا عما سواه ، والعلم يكون مجملا ومفصلا ... والمعرفة تمييز المعلومات .. وكل معرفه

---

(١) الأفعال للسرقسطى ٢٣٦/١.

(٢) لسان العرب ٢٨٩٧ وما بعدها .

(٣) تاج العروس ١٩٢/٦.

علم، وليس كل علم معرفة ؛ وذلك أن لفظ المعرفة يفيد تمييز المعلوم من غيره ، ولفظ العلم لا يفيد ذلك إلا بضرب آخر من التخصيص من ذكر المعلوم .. » (١)

وقال الراغب : « المعرفة والعرفان إدراك الشئ بتفكر وتدبر لأثره ، وهو أخص من العلم ، ويضاده الإنكار ، ويقال : فلان يعرف الله ، ولا يقال : يعلم الله متعديا إلى مفعول واحد ؛ لما كان معرفة البشر لله هي بتدبر آثاره ، دون إدراك ذاته ، ويقال: الله يعلم كذا ، ولا يقال : يعرف كذا ؛ لما كانت المعرفة تستعمل فى العلم القاصر المتوصل به بتفكر ، وأصله من عرفت ، أى : أصبت عرفه ، أى رائحته ، أو من أصبت عرفه ، أى خده ... » (٢)

٣- الفقـــــه :

جاء فى اللسان « الفقه العلم بالشيء والفهم له ، وغلب على علم الدين ، لسيادته وشرفه وفضله على سائر أنواع العلم ، كما غلب النجم على الثريا ، وقد جعله العرف خاصا بعلم الشريعة، وتخصيصا بعلم الفروع منها .

وقيل : الفقه فى الأصل الفهم ، يقال : أوتى فلان فقها في الدين ، أى فهما فيه . قال تعالى : ﴿ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ﴾ (٣) وفى الحديث : دعا النبى صلى الله عليه وسلم لابن عباس ، فقال : اللهم علمه الدين ، وفقهه فى التأويل ، أى فهمه تأويله ومعناه ... وفقه فقها بمعنى علم علما .... وقال بعضهم : فَقُه الرجل فَقَهاً وفِقْهاً ، وفقه الشيء علمه ، وفقهه علمه ... قال الأزهرى : قال لى رجل من كلاب وهو يصف لى شيئا ؛ فلما فرغ من كلامه قال : أفقهت ، يريد أفهمت .. والفقه الفطنة ، وفى المثل ، خير الفقه ما حاضرت به » (٤)

---

(١) الفروق فى اللغة ٧٢ وما بعدها .
(٢) المفردات فى غريب القرآن ٣٣١.
(٣) من الآية ١٢٢ سورة التوبة .
(٤) لسان العرب ٣٤٥٠.

وقال الزمخشرى : « قال أعرابى لعيس بن عمر : شهدت عليك بالفقه ، أى بالفهم والفطنة ، وفى الحديث : من أراد الله به خيراً يفقهه فى الدين ... » [١]

وقال العسكرى : « الفقه هو العلم بمقتضى الكلام على تأمله ، ولهذا لا يقال: الله يفقه ، لأنه لا يوصف بالتأمل ، وتقول لمن تخاطبه ، تفقه ما أقوله ، أى تأمله لتعرفه ، ولا يستعمل إلا على معنى الكلام ، وسمى علم الشرع فقها لأنه مبنى عن معرفة كلام الله تعالى ، وكلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم » [٢]

وقال الراغب : « الفقه هو التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد ، فهو أخص من العلم ، قال تعالى : ﴿ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ [٣] وقال : ﴿ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ ﴾ [٤] والفقه العلم بأحكام الشريعة ... » [٥]

هذا الذى ذكرناه لمعانى الكلمات الثلاث هو خلاصة ما ذكره أهل اللغة فى المعاجم المختلفة التى ذكرناها والتى لم نذكرها ، كالصحاح للجوهرى ، ومقاييس اللغة لابن فارس ، والأفعال لابن القطاع ، وغيرها .

---

(١) أساس البلاغة ٣٤٦.
(٢) الفروق فى اللغة ٨٠
(٣) من الآية ٧٨ سورة النساء .
(٤) من الآية ٧ سورة المنافقون .
(٥) المفردات .. ٣٨٤.

المبحث الأول

الفرق بين العلم والمعرفة

« المبحث الأول »

الفرق بين العلم والمعرفة

العلـــم : الإدراك مطلقا ، أي سواء كان على وجة الإذعان أم لا ، وسواء كان على سبيل التفصيل والتمييز ، كما فى المعرفة ، أم لا ، وسواء كان بمقتضى الكلام فى الفقة ، أم لا . فهو أعم منهما ، أى من المعرفة والفقة.

ولما كان الإدراك يفهم معنى الكسب ؛ لأنه انفعال ، فإنه لا يناسب العلم القديم أن يعرف به . (١)

(العلـــم القديـــم)

عرفوا العلم القديم بأنه « صفة أزلية » متعلقة بجميع الواجبات والجائزات على وجه الإحاطة على ماهى به ، من غير سبق خفاء » (٢)

فعلمه جل وعلا يحيط بالأشياء أزلاً على ماهى عليه ، دون سبق جهل ، أما وجودها فى الماضى والحال والاستقبال ، فذلك أطوار فى المعلومات لا توجب تغيرا فى تعلق العلم بها ، لأن المتغير صفة المعلوم ، لا تعلق العلم بها . (٣)

---

(١) انظر شرح الخبيصى على تهذيب المنطق للسعد التفتازانى٢٤ .
وقد رأى البعض صحة وصف الله تعالى بالإدراك مستشهدا بقوله تعالى: « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير » الأنعام ١٠٣. انظر حاشية ابن سعيد على شرح الخبيصى للتهذيب ١٧.
وقيل إن الإدراك هنا ليس معناه الانفعال النفسى عند العلم ، وإنما معناه الإحاطة بحقيقة الشيء ، أى لا تحيط به الأبصار وهو يحيط بها ، قال تعالى : « فلما أدركه الغرق » ٩٠ يونس - أى أحاط به ، وقوله تعالى : « إنا لمدركون » ٦١ الشعراء ، أى محاط بنا . انظر البحر المحيط ١٩٥/٤ والإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال ٤١/٢.

(٢) شرح البيجورى على جوهرة التوحيد للشيخ اللقانى ٦١.

(٣) المرجع السابق الموضع نفسه .

فعلم الله تعالى قديم على جميع أحوال الإخبار عنه ، سواء جاء بصيغة الماضى مثل :

١- قوله تعالى: ﴿ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ﴾ (١)

أى وقع فى أزل علمه ما كان منكم.

٢- قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ﴾ (٢)

أى لم يكن فى أزل علمه أن فيهم خيراً.

وقد تأتى صيغة الماضى فى سياق تعلقه بالفعل الحادث :

٣- قال تعالى : ﴿ الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾ (٣)

فقد تعلق العلم بضعفهم المخبر بظهوره الآن .

وقد يأتى العلم بصيغة المضارع المرتبط بالفعل المتجدد.

٤- قال تعالى : ﴿ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾(٤)

أى يعلم ما يحصل منهم من إسرار أو إعلان.

٥- وقال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ (٥)

أى مما سيحصل من اتباعهم أو انقلابهم .

---

(١) من الآية ١٨٧ سورة البقرة .

(٢)من الآية ٢٣ سورة الانفال .

(٣) من الآية ٦٦ سورة الأنفال .

(٤) من الآية ٥ سورة هود.

(٥) من الآية ١٤٣ سورة البقرة .

وقد تأتى الصيغة لما ينتظر وقوعه .

٦- قال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ ﴾(١)

ومن ذلك وقوعه جوابا لشرط منتظر الوقوع

٧- قال تعالى : ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾(٢)

٨- قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٣)

فجميع شواهد الإخبار بعلم الله تعالى دالة على قدم علمه جل وعلا - فى الأزل ، وأن اقترانها خارجاً بالحوادث المتجددة اقتران ظهور لا اقتران بداء .

ولا ينقسم علمه - جل وعلا - إلى تصور وتصديق ، ولا إلى بدهى وكسبى «لأن الانقسام إلى البدهى والكسبى إنما يجرى فى العلم الحصولى والعلم الحادث ، دون العلم الحضورى ، والعلم القديم ، وهو علمه تعالى ؛ فإن العلم الحضورى بدهى، وعلمه تعالى - لا يوصف ببداهة ولا كسب ».(٤)

أما العلم البشرى فعلم حادث، حاصل بعد سبق الجهل ، وتحصيله قد يكون حضوريا عند وجود محل العلم ، وهو عندئذ بدهى ، أو يكون حصوليا عند عدم حضوره ، والحصولى قد يكون بدهيا لا يحتاج إلى إعمال ذهن ، وقد يكون نظريا محتاجاً إلى كسب وإعمال نظر « والبدهى والنظرى يختلفان بالنسبة للأشخاص ، فربما يكون نظريا لشخص ، بدهيا لآخر ، وبالعكس » (٥)

(١) من الآية ١٦ سورة التوبة .
(٢) من الآية ١٩٧ سورة البقرة .
(٣) الآية ٢٩ من سورة آل عمران .
(٤) حاشية العطار على شرح الخبيصى لتهذيب المنطق للسعد ١٦.
(٥) المرجع السابق ٣١.

ولا يوصف الله جل وعلا - بالمعرفة ؛ لأن المعرفة تقتضى سبق الجهل بالشئ وانكاره ، ثم التعرف عليه ، قال البقاعى عن الحرالى : « وإنما لم تجز فى أوصاف الحق لما فى معناها من شرط النكرة » (١)

كما لا يوصف - جل وعلا - بالفقة ، لما فيه من معنى الفهم والفطانة ، والنظر فى الآدلة ، وهذا لا يجوز فى حقه تعالى - لذا لم يأت به النظم القرآنى .

والتفريق بين العلم والمعرفة تفريق بينهما حال كون العلم وصفا حادثاً للمخلوق. وكلام أهل العلم المحققين يدل على أن بين العلم والمعرفة فروقاً ، وإن اجتمعا فى مطلق العلم ، هذه الفروق تقتضى أن يكون لكل منهما موضعه فى الاستعمال ، بحيث لا يصح أن يستعمل أحدهما مكان الآخر ، إلا على وجه من التجوز.

وترجع الفروق بينهما إلى مايأتى :

(الفـــرق الأول) المعرفة علم يقوم على فصل ما يعرف وتمييزه عن غيره بشواهده وعلاماته الخاصة به ، ولا يشترط ذلك فى مطلق العلم ، فبينهما عموم وخصوص مطلق .

قال أبو هلال العسكرى : « الفرق بين العلم والمعرفة أن المعرفة أخص من المعلم لأنها علم بعين الشئ مفصلا عما سواه ، والعلم يكون مجملا ومفصلا ». (٢)

ويرجع معنى التفصيل فى المعرفة إلى التمييز بين المعلومات عن طريق النظر والتفكير الموصل إلى التعرف على الأشياء ، قائلا : « كل معرفة علم ، وليس كل علم معرفة ؛ وذلك أن لفظ المعرفة يفيد تمييز المعلوم من غيره ، ولفظ العلم لا يفيد ذلك إلا بضرب آخر من التخصيص فى ذكر المعلوم » (٣)

(١) نظم الدرر فى تناسب الآى والسور للبقاعى ٢/٢٢٧.
(٢) الفروق فى اللغة ٧٢.
(٣) المرجع السابق الموضع نفسه.

وذلك بوجود قرائن دالة على أن المراد بالعلم المعرفة ، لا العلم على وجه العموم . لكن يرد على تعريفه للمعرفة بأنها العلم بعين الشئ - أن المعرفة عندما تتعلق بالله تعالى لا تكون علما بذاته وإنما تكون معرفة لآثاره الدالة على وجوده.

لذلك كان الراغب فى بيان هذا الفرق أكثر بياناً ووضوحاً للفرق بين معرفة الله تعالى ، ومعرفة غيره ، قال : « المعرفة والعرفان إدراك الشئ بتفكر وتدبر لأثره ، وهو أخص من العلم ، ويضاده الإنكار ، ويقال : فلان يعرف الله ، ولا يقال : يعلم الله ، متعديا إلى مفعول واحد ؛ لما كان معرفة البشر هى بتدبر آثاره ، دون إدراك ذاته ، ويقال : الله يعلم كذا ، ولايقال : يعرف كذا ؛ لما كانت المعرفة تستعمل فى العلم القاصر المتوصل به بتفكر » (١)

والاستعمال القرآنى واضح الدلالة على هذا الفرق، إذ لم تقرن فيه العلامات والسمات التى يميز بها بين الأشياء إلا بالإدراك المراد به المعرفة لا مطلق العلم.(٢)

٩- قال تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ (٣)

معرفتهم بالسمات والعلامات ، إذ يعرفون بصفرة وجوههم ، ورثاثة حالهم ، فهم مميزون عن غيرهم بهذه الصفات . (٤)

١٠- وقال تعالى : ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾(٥)

---

(١) المفردات فى غريب القرآن ٣٣١.

(٢) التراكيب التى جاءت فيها السمات مع المعرفة فى القرآن الكريم ستة .

(٣) الآية ٢٧٣ سورة البقرة .

(٤) انظر الكشاف ١٩٨/١.

(٥) الآية ٤٦ من سورة الأعراف .

أى يميزون بينهم بعلاماتهم وسماتهم التى اختص كل واحد منهم بشئ منها .

١١- وقال تعالى : ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (١)

أى يعرفونهم بعلاماتهم التى أعلمهم الله بها .

١٢- وقال تعالى: ﴿ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ ﴾ (٢)

وسيما المجرمين سواد وجوههم ، وزرقة عيونهم ، وتشوهات فيهم تدل عليهم.

ومما اجتمعت فيه شواهد الحس البصرى والسمعى :

١٣- قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴾(٣)

أى لو نشاء دللناك عليهم حتى تعرفهم بعلاماتهم التى يعلمهم الله بها ، حتى لا يخفون عليك ، وكذلك تعرفهم بلحن القول الذى يصطلحون عليه فيما بينهم، مما يكون ظاهره الطاعة ، وباطنه المعصية .

ويستظهر أبو حيان كون الرؤية فى الآية بصرية لعطف العرفان عليها ؛ لأن معرفة القلب تتأتى بالرؤية البصرية ، وهو تعليل جيد . (٤)

أما مطلق العلم فلا يتعين فيه قيامه على الفكر والتدبر لأثر المعلوم ، وعلاماته ، وشواهده ؛ لأنه يكون علما بالشئ فى الجملة ، دون تفصيل يرجع به إلى معنى المعرفة .

---

(١) الآية ٤٨ من سورة الأعراف .
(٢) الآية ٤١ سورة الرحمن .
(٣) الآية ٣٠ سورة محمد .
(٤) انظر البحر المتوسط ٨/٨٤.

لذا كان نظم القرآن الكريم ظاهر الدقة فى استعمال لفظ العلم عند عدم إرادة معنى التفصيل ، والتعرف على العلامات والسمات للشئ المعلوم . وشواهده كثيرة، من ذلك :

١٤- قوله تعالى : ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (١)

أى علم كل فريق مشربه بإخبار الله لهم عن طريق نبيه ، إذ لم يكن منهم تعرف عليه ، وتمييز مشرب عن مشرب ، وبحث عنه من خلال صفات ، وسمات علموها ، وإلا لناسب ذلك المجئ بالفعل (عرف) دون الفعل (علم)، والله اعلم .

١٥- وقوله تعالى :﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ (٢)

فالمعنى - والله أعلم - أى علمتموهم عند اعتدائهم فى السبت ، وأدركتم من فعل ذلك عند فعله ، وليس على معنى التعرف عليهم ، والتمييز بينهم وبين غيرهم بأمارات خاصة بهم .

فالسياق للفعل (علم) دون الفعل (عرف) وشواهد العلم فى القرآن الكريم على هذا النظم لم يتجوز فيها باستعمال العلم بمعنى المعرفة ، خلافا لما ذهب إليه أبو هلال فى الآية الآتية :

١٦- قال تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ

---

(١) الآية ٦٠ سورة البقرة.

(٢) الآية ٦٥ سورة البقرة .

عدوَّ اللَّه وعدُوَّكُمْ وآخَرينَ من دُونهمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يعْلَمُهُمْ ومَا تُنفقُوا من شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ ﴾(١)

قال أبو هلال : « أى لا تعرفونهم الله يعرفهم » (٢)

وليس كذلك ، لأن المعنى - والله أعلم - لا تعلمون أشخاصهم ولا تدركونهم لتسترهم وخفائهم عنكم ، وليس السياق لنفى المعرفة ، إذ لا مناسبة لنفى التعرف عليهم بعلاماتهم وما يميزهم ، لأنهم غير حاضرين عندهم ، ولم يروهم . فالمعنى على نفى العلم ، لا نفى المعرفة .

ولقرائن السياق والأحوال أهميتها فى استجلاء ذلك ، يتبدى ذلك عند تلقى المعنى من الآيات الآتية :

١٧- قال تعالى : ﴿ ولا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ من زِينَتِهِنَّ ﴾(٣)

ففى الآية نهى عن أن تضرب المرأة الأرض برجلها ليعلم أنها ذات خلخال ، أو تضرب رجلها بالأخرى ليعلم أنها ذات خلخالين . (٤)

فالسياق هنا للعلم بأن هذا موجود ، لا للمعرفة التى يراد بها التعرف عليه بسماته وعلاماته .

١٨- وقال تعالى : ﴿ ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عندَ اللَّه فَإن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ولَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ ولَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾ (٥)

---

(١) الآية ٦٠ سورة الأنفال .
(٢) الفروق فى اللغة ٧٣.
(٣) من الآية ٣١ سورة النور.
(٤) انظر الكشاف ٦٢/٣.
(٥) الآية ٥ سورة الأحزاب .

أى إن لم تعلموا لأدعيائكم آباء تنسبونهم إليهم ، وليس على معنى إن لم تتعرفوا على آبائهم بصفاتهم وسماتهم التى يعرفون بها .

١٩- وقال تعالى : ﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١)

أى لا تدرك ما أخفى عنها وليس لها به علم ، فضلا عن إمكان التعرف عليه، وتمييزه ، وفصله عن غيره ؛ لأنه لم يوجد بعد.

وكذلك قد يقتضى السياق أن يكون المثبت المعرفة .

٢٠- قال تعالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (٢)

فالآية تتحدث عن علامات تبدو على وجوه من يسمعون الآيات البينات ، فهو علم خاص قائم على التعرف على علاماتهم المرئية التى تدل على إنكارهم للقرآن ، فالإدراك هنا من باب المعرفة ، لا مطلق العلم .

[١٣] وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ ﴾ (٣)

فسياق العلاقات والسمات التى يعلم بها المحدث عنه يستدعى أن يكون المثبت المعرفة بخصوصها .

وكما يقتضى السياق إثبات المعرفة قد يقتضى نفيها دون العلم .

---

(١) الآية ١٧ سورة السجدة .

(٢) الآية ٧٢ سورة الحج.

(٣) من الآية ٣٠ سورة محمد .

٢١- قال تعالى : ﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُون ﴾[١]

فالآيات تتحدث عن عدم تدبرهم القول وامتناعهم عن الإجابة كأنهم لم يعرفوا رسولهم بعلاماته التى أخبروا بها ، وموافقتها لما علموه ، فكما أنه عاش بينهم وعرفوه ، لا ينبغى أن ينكروه.

ومما يساعد على استجلاء دقة النظم القرآني بالإتيان بمادة (علم) أو مادة (عرف) فى سياقه - أن ننظر إلى مقابل (العلم) وهو (الجهل) ومقابل (المعرفة) وهو (الإنكار) ونضع مكان (العلم) مقابله ، ومكان (المعرفة) مقابلها مع المخالفة فى الإثبات والنفى وذلك فى غير القرآن الكريم ، فإن صح ذلك كان دليلا على دقة المجئ بكلا المادتين فى موضعها ، من ذلك على سبيل المثال:

٢٢- قول الله تعالى : ﴿ قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [٢]

فإننا لو قلنا فى غير القرآن الكريم : وأجهل الغيب ، كان كلاما مستقيما لا شئ فيه ، لكن لو قيل : وأنكر الغيب بمعنى أجحده ولا أعرفه ، فإنه لا يستقيم ، لأن فى ذلك مظنة معرفة الغيب بعد التأمل فى علامات له ، والبحث عما يميزه ويكشف عنه .

٢٣- وقولة تعالى : ﴿ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾[٣]

---

(١) الآية ٦٩ سورة المؤمنون.

(٢) الآية ٥٠ سورة الانعام.

(٣) الآية ٧٩ سورة هود .

فإننا لو قلنا فى غير القرآن : لم تجهل مالنا فى بناتك من حق ، ولم تجهل ما نريد كان كلاما مستقيما ، لكن لا يصح القول : لم تنكر مالنا فى بناتك من حق ، ولم تنكر ما تريد ؛ لأن الشأن فى متعلق المعرفة ، وكذلك فى متعلق الإنكار أن يكون مفرداً لا حكما بخلاف العلم والجهل فإنهما يتعلقان بالمفرد والجملة .

ولا يصح لم تنكر ما نريد ؛ لأن الإنكار موجود ، والجحد لما ذهبوا إليه مؤكد لا يزول .

كل هذا فى إطار ما يقتضيه مساق التراكيب وقرائنها من الإتيان بالمعرفة ، أو الإتيان بالعلم .

(**الفرق الثانى**) تتميز المعرفة عن مطلق العلم بأنها علم حضورى ضرورى ؛ لأنها تقوم - كما تبين فى الفرق السابق - على تمييز الأشياء عن غيرها بشواهدها القائمة الحاضرة ، فالعلم عن طريقها علم بدهى لا يحتاج إلى نظر وكسب ، كما هو الحال فى العلم الحصولى الذى قد يحتاج إلى نظر وكسب .

ذلك أن الصورة فى العلم الحصولى غير الصورة الخارجية ، لكنها فى العلم الحضورى عينها ، وحاصل هذا التفريق قولهم : « إن العلم بالأشياء يكون على وجهين : أحدهما ، بحضور صورها فى نفس العلم أو فى آلاتها ، ويسمى حصوليا ، والآخر بحضورها فى أنفسها عند العالم ، ويسمى حضوريا ما كعلمنا بذواتنا ، وبالصفات القائمة بها ، إذ ليس فيها ارتسام ، بل هناك حضور المعلوم بحقيقته ؛ لا بمثاله عند العالم ، وهذا أقوى من الحصولى ، ضرورة أن انكشاف شئ عن آخر لأجل حضوره عنده أقوى من انكشافه عنده لأجل حضور مثاله وصورته » (١)

وشواهد المعرفة فى القرآن الكريم فى غاية وضوح الدلالة على كون الواقع عليه المعرفة حاضرا مميزا عن غيره ، وأن العلم به بدهى ، لا نظرى كسبى .

---

(١) حاشية العطار على شرح الخبيصى ١٧.

٢٤- قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾ [١]

أى لما أرسل إليهم محمد - ﷺ - المعروف لهم معرفة ضرورية لا تحتاج إلى بحث ونظر ؛ لأنه من أنفسهم - كفروا به .

[٢٠]- وقال تعالى : ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ ﴾ [٢]

معرفة المنكر بدهية ؛ لأنه حاضر مشاهد فى وجوه الكافرين ، فليس فيه إعمال نظر وفكر.

٢٥- وقال تعالى : ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴾ [٣]

لا يخفى أن النضرة مشاهدة ، لا تحتاج معرفتها إلى فكر ونظر ، فالمعرفة بدهية لا كسب فيها .

[٢١] وقال تعالى : ﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴾ [٤]

فى الآية لوم لهم وتأنيب وإنكار أن يتشاغلوا عن رسول الله ، وقبول دعوته ، وهو القائم فيهم ، المعروف لهم ، فمعرفتهم له عليه الصلاة والسلام - بدهية وهكذا الحال فى جميع شواهد المعرفة ؛ إذ لا تكون إلا مع متعلق مشاهد حاضر لا يحتاج إلى إعمال فكر ونظر لمعرفته .

أما العلم تصوراً كان أو تصديقا - فإنه قد يكون حضوريا بدهيا ، وقد يكون حصوليا ، بدهيا كان أو كسبيا ، وقد تنوعت شواهد القرآن الكريم بذلك .

فمن شواهد التصور الذى لا يحتاج إدراكه إلى كسب ؛ لكونه حضوريا ما يأتى :

---

(١) من الآية ٨٩ سورة البقرة .
(٢)من الآية ٧٢ سورة الحج .
(٣) الآية ٢٤ سورة المطففين .
(٤) الآية ٦٩ سورة المؤمنون .

[١٤] قال تعالى : ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (١)

المعلوم فى الآية وهو المشرب من التصور ، الذى هو إدراك المفرد ، وهو حاضر عند المتحدث عنهم بأنهم علموه ، فلم يحتاجوا فى إدراكه إلى كسب .

[١٥) وقال تعالى :﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ (٢)

فالمعلوم وهو (الذين اعتدوا) من التصور ، لأن إدراكه إدارك مفرد ، وهم حاضرون عند العلم بهم ، لا يحتاج العلم بهم إلى فكر ونظر.

[١٧]- وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾(٣)

فالمعلوم وهو ما يخفين من الزينة من التصور ، وهو حاضر عند العلم به لأن طريق العلم به سماع صوته ، فلا يحتاج العلم به إلى فكر ونظر .

٢٦- وقال تعالى : ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ (٤)

أى علمته حاضراً غير غائب عند الحساب .

واذا كانت المعرفة تتفق مع العلم الحضورى فى كونهما لا يحتاجان إلى إعمال ذهن وفكر ؛ لكون متعلقيهما حاضرين عند الإدراك - إلا أنهما يفترقان من حيث

---

(١) الآية ٦٠ سورة البقرة .

(٢) الآية ٦٥ سورة البقرة.

(٣) من الآية ٣١ سورة النور.

(٤) الآية ١٤ سورة التكوير.

الفرق الأول ، وهو قيام المعرفة على وجود سمات وعلامات يتوصل بها إليها دون العلم .

ومن شواهد التصديق البدهي لكونه حضوريا . (١) ما يأتى :

٢٧- قال تعالى : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴾ (٢)

فالمعلوم تصديق بالنسبة المنفية ، وهى نفي نطق الأصنام ، وانتفاء نطق الاصنام عند العلم به له حضور ، إذ هم وإبراهيم عليه السلام يذعنون بهذه النسبة لكونها حاضرة الوقوع .

[٢٣] وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ ﴾ (٣)

فالمعلوم حاضر ، وهو انتفاء حقيتهم فى بناته ، وأنهم لا يرغبون فيهن .

٢٨- وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (٤)

ففرعون يعلم بالحكم المخبر به فى الآية ، وهو أن الآيات التى أنزلها الله من عنده سبحانه ، لا من عند فرعون ، وهو أمر لا يشك فيه أحد.

أما العلم الحصولى تصوراً أو تصديقاً - فإنه تختلف أحواله من حيث كونه محتاجاً إلى نظر وكسب ، أو كونه بدهيا ضروريا لا يحتاج إلى كسب ، ثم « هما يختلفان بالنسبة إلى الأشخاص ، فربما يكون نظرياً لشخص ، بدهيا لآخر ، وبالعكس » (٥)

(١) النظر إلى الكسب وعدمه فى التصور والتصديق بالنسبة إلى الآقرار والماصدقات ، أما بالنظر إلي مفهومها فإنه يحتاج إلى نظر وكسب .

(٢) من الآية ٦٥ سورة الانبياء .

(٣) من الآية ٧٩ سورة هود .

(٤) من الآية ١٠٢ سورة الأسراء.

(٥) حاشية العطار على الخبيصى ٣١.

فمن شواهد التصور الحصولى .

٢٩- قوله تعالى : ﴿ وَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾(١)

فالعلم فى قوله تعالى : « لتعلموا عدد السنين والحساب » تصور يحصل عند النظر فى القمر ومنازله . ونظيرها .

٣٠- وقوله تعالى : ﴿ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً ﴾ (٢)

أى يحصل مع النظر فى هاتين الآيتين العلم بعدد السنين والحساب.

٣١- وقال تعالى : ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لأَّتَّبَعْنَاكُمْ ﴾ (٣)

قوله « لو نعلم قتالا » أى حصل عندنا علم بقتال واجب علينا - وتصورنا ذلك لقاتلنا معكم .

وشواهد التصديق الحصولى كثيرة .

٣٢- قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ (٤)

---

(١) الآية ٥ سورة يونس.
(٢) الأية ١٢ سورة الإسراء
(٣) من الآية ١٦٧ سورة آل عمران .
(٤) الآية ١٥٨ سورة الصافات .

أى قد حصلوا هذا العلم بالنظر والتدبر فى آيات الله تعالى ، وإخباره لهم عن طريق رسله ، ثم هم يختلفون فى سرعة الفهم والاستجابه .

٣٣- وقال تعالى : ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾ (١)

أى ألم يحصلوا هذا العلم ؟ وهم يختلفون فى تحصيله .

٣٤- وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ (٢)

أى ألم يحصلوا هذا العلم ، فيتقوا الله .

٣٥- وقال تعالى : ﴿ هَذَا بَلاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ (٣)

أى ألم يدركوا هذه الحقيقة البالغة التى هى أساس العقائد ؟

وإدراك النسبة قد يكون حضوريا فى سياق ، ثم نراه حصوليا فى سياق آخر؛ كما نرى فى الآيتين الآتيتين :

---

(١) الآية ٦٣ التوبة.
(٢) الآية ٧٨ التوبة.
(٣) الآية ٥٢ سورة إبراهيم .

٣٦- قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا ﴾ (١)

فقوله تعالى (ليعلموا أن وعد الله حق) أى ليحصلوا إدراك هذه الحقيقة بعد رؤيتهم هذه الآية ، وهى وجود أهل الكهف بصورتهم بعد الزمن الطويل ، فالتصديق بحقية وعد الله الذى هو قيام الساعة ، وإحياؤهم ، ثم حسابهم - علم حصولى لا حضورى . هذا بخلاف مجيئه فى الآية :

٣٧- قوله تعالى : ﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢)

فالعلم هنا بحقية وعد الله علم حضورى لا حصولى ؛ لأن وعد الله واقع ماثل أمام أم موسى ؛ وهو رد موسى إليها ، وليس وعداً سيحصل بعد كما فى آية الكهف .

فحقية الوعد فى آية القصص بدهية لا تحتاج إلى نظر وكسب لأنها حقيقة مشاهدة وحاضرة ، أما فى آية الكهف فحقية الوعد برهانية كسبية ، تتفاوت العقول فى إدراكها والإذعان بها . والله أعلم .

(الفرق الثالث) العلم من جانب الله تعالى غير مسبوق بالعدم ، وفى جانب البشر مسبوق به قطعا ، أما المعرفة فقد تكون مسبوقة بعلم سابق يتعرف على شواهده ومعالمه ، فيتجدد الإدراك ، وتتحقق المعرفة .

ويرى السعد التفتازانى أن المعرفة مسبوقة بالعدم ، دون العلم ، يقول :

---

(١) من الآية ٢١ سورة الكهف.

(٢) الآية ١٣ سورة القصص .

«المعرفة للإدراك المسبوق بالعدم ، أو الأخير من الإدراكين لشئ واحد إذا تخلل بينهما عدم ؛ بأن أدرك أولا ، ثم ذهل عنه ، ثم أدرك ثانيا . والعلم للإدراك المجرد من هذين الاعتبارين ؛ ولذا يقال : الله تعالى عالم ، ولايقال : عارف » [١].

ويبدو أن السعد عند نفيه اعتبار سبق العدم على العلم نظر إلى العلم القديم ، الذى لايسبق بجهل وعدم ، لأنه سابق أزلا ثبوت الذات وقدمها ، أى أنه لا يتعين اعتبار سبق العدم العلم على إطلاقه ؛ لأن العلم القديم لا يسبق بعدم ، كما أنه ليس علما ثانيا كما فى المعرفة .

أما العلم الحادث فإنه مسبوق بالعدم ، لأنه مكتسب ، والكسب هو معنى التحصيل والوجود بعد العدم .

وشواهد القرآن الكريم - على كثرتها - تدل على أن العلم الحادث مسبوق بالجهل فمتى أسند العلم إلى الإنسان دل على أنه حادث بعد جهل .

٣٨- قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ [٢].

لم يكن آدم عليه السلام - يعلم شيئا ، فمن الله عليه بتعليمه ، وإزالة جهله فعلم أسماء الأشياء التى لم يعلمها الملائكة .

٣٩- وقال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ [٣]

أى كان حالكم حال جهل ، ثم تعلمتم ، وكثرت معارفكم ، ونمت إدراكاتكم .

وقد أخبر الله تعالى فى معرض امتنانه على نبيه عليه الصلاة والسلام - بأنه

---

(١) المطول ٣٤.

(٢) من الآية ٣١ سورة البقرة .

(٣) من الآية ٧٨ النحل .

علمه بعد أن لم يكن يعلم .

٤٠- قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً ﴾ (١).

ويحث الله تعالى من يجهل شيئا أن يطلبه عند من يعلمه .

٤١- قال تعالى : ﴿ فاسألوا أهل ألذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ (٢).

أى إن كنتم لا تعلمون شيئا تطلبون علمه فاطلبوه عند أهل العلم به .

ومما هو قوى الدلالة على أن العلم الحادث مسبوق بالجهل إخبار الله تعالى عن حصول العلم فيما يستقبل .

٤٢- قال تعالى : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ (٣)

أى سيتحقق علمهم يوم القيامة بمن هو أهل للنعيم وحسن العاقبة أى أنهم جاهلون بذلك الآن .

٤٣- وقال تعالى : ﴿ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى ﴾ (٤)

أى أنتم الآن جاهلون بذلك ، وستعلمونه علم اليقين فيما يستقبل .

٤٤- وقال تعالى : ﴿ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴾ (٥)

أى ستعلمون كيف كان إنذارى لكم عندما ترونه يوم القيامة .

٤٥- وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ * كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾ (٦).

---

(١) من الآية ١١٣ سورة النساء.
(٢) من الآية ٩٦ سورة يوسف .
(٣) من الآية ٤٢ سورة الرعد.
(٤) من الآية ١٣٥ سورة طه .
(٥) من الآية ١٧ سورة الملك.
(٦) الآيتان ٣، ٤ سورة التكاثر.

كل هذه الشواهد وغيرها تدل على أن العلم الحادث مسبوق بعدم وهو الجهل .

أما المعرفة فقد تكون غير مسبوقة بعلم سابق ، بإن تعتمد على شواهد وأمارات دالة على محلها ؛ لأنها كما يقولون مأخوذة من عرفان الدار ، وآثارها التى تعرف بها . (١)

وقد تكن حضور علم سابق لم يزل من العقول ، أو غاب عنها ثم رجع الذهن إليه ، وعاد إلى إدراكه بعد التأمل فى شواهده التى كان قد عرف بها .

وهذا صريح ما سبق ذكره من كلام السعد ، ويدل عليه ما ذكره البقاعى عن الحرالى ؛ إذ جعل المعرفة علمين : علما عاليا هو إدراك الأشياء وشهادتها بصفاتها وعلاماتها التى تتبدى بها ، وعلما أقل منزلة ، إذ هو حضور علم سابق عن طريق النظر فى علاماته وسماته التى عرف بها ، لإزالة الشبهة والخفاء فيه ، قال : «المعرفة حد بين علمين : علم عَلِيٌّ تشهد الأشياء ببواديها ، وعلم دُون يستدل على الأشياء بأعلامها » (٢)

فالمعرفة فى الأول إدراك متلقى من ظواهر متعلقه وبواديه التى تجعله مشهوداً للعارف به . وفى الثانى حضور إدراك سابق ، وتحقق ذكره بعلاماته وشواهده .

وقد أتت شواهد القرآن الكريم بالمعرفة من هذين الضربين فمن شواهد الضرب الأول الذى هو معرفة الأشياء وشهادتها .. بعلاماتها وسماتها مايأتى :

[٢٤] قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ

(١) انظر الفروق فى اللغة ٧٢.

(٢) نظم الدرر فى تناسب الآى والسور ٢/٢٢٧.

عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [١].

الذى عرفوه هو الحق ، وهو القرآن الكريم ، إذ عرفوا صدقه إعجازه ، وأنه لإعجازه لا يكون من بشر ، لكنهم كفروا به ، فقد تحققت معرفتهم بذلك وشهادتهم به بهذه الأمارات ؛ أو الحق محمد صلى الله عليه وسلم - إذ عرفوه بخير الله عنه فى التوراة والانجيل من صفاته وشأنه فى حياته وبعثته . [٢]

وعلى الجانب الآخر فريق عرف الحق ، وشاهد صدقه فآمن واهتدى .

٤٦- وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [٣].

أى مما عرفوا من القرآن الكريم وصدقه ، وظهور الشواهد على صدق الرسول فى دعوته ، فشهدوا بصدق القرآن وصدق الرسول ﷺ .

ودعوا ربهم أن يكونوا من أمة الإسلام الشاهدين على الأمم يوم القيامة ، كما قال تعالى : ﴿ لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾[٤].

٤٧- وقال تعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[٥]

أى يريكم الآيات التى تلجئكم إلى المعرفة والشهادة بأنها من عند الله ولا تكون إلا منه ، كانشقاق القمر ، وإرسال الدخان ، وكل ما يحل بهم فى الدنيا ، أو

---

(١) الآية ٨٩ سورة البقرة .
(٢) انظر الكشاف ١/٢٩٦.
(٣) الآية ٨٣ سورة المائدة .
(٤) من الآية ١٤٣ سورة البقرة.
(٥) الآية ٩٣ سورة النمل .

كل آية فى أنفسهم وفى سائر الخلق ، كما قال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾(١)

ورؤية الآيات التى لا تكون إلا من قادر ومعرفتها طريق لمعرفة الله ، والشهادة بأنه الخالق جل وعلا.

فالمعرفة هنا إدراك للأشياء وتبين لها تبينا حاصلا من رؤية علاماتها وصفاتها .

٤٨- وقال تعالى : ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴾(٢).

أى يعرفون نعمة الله معرفة شهادة وإيقان بأنها لا تكون إلا منه جل وعلا.

وذلك مما يقتضى منهم معرفة حقه جل وعلا- من التوحيد والعبادة ، لكنهم ينكرونها ، ويعبدون غير المنعم . (٣)

وفى ترتيب الإنكار على المعرفة دلالة واضحة على أن المعرفة فى الآية من الضرب الأول الذى هو تحصيل إدراك وإنشاؤه بناء على الشواهد الدالة ، لا تجدد إدراك وتأكيده بعد الإنكار .

[٢٥] وقال تعالى : ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴾ (٤).

أى تدرك ما فى وجوه الأبرار من بهجة النعيم ، ومائه ، ورونقه ، فالمعرفة هنا إدراك حاصل من مشاهدة النعيم ونضرته .

---

(١) الآية ٥٣ سورة فصلت .
(٢) الآية ٨٣ سورة النحل .
(٣) انظر الكشاف ٢/٤٢٣.
(٤) الآية ٢٤ سورة المطففين .

[٢٠] وقال تعالى : ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ ﴾[١].

« المنكر الفظيع من التجهم والبسور ، أو الإنكار ، كالمكرم بمعنى الإكرام »[٢].

أى ترى فى وجوهم علامات هذا الإنكار وشواهده ظاهرة فتعرفه منهم .

فالمعرفة هنا إدراك حاصل للإنكار بدلالة شواهده وأماراته .

ومن شواهد الضرب الثانى وهو أن تكون المعرفة حضور إدراك سابق دون نشأته وحصوله ، أو استحضار هذا الإدراك بالتأمل فى أماراته التى أنشأت العلم الأول ما يأتى :

٤٩- قال تعالى : ﴿ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[٣].

ليست المعرفة هنا نشأة إدراك وحصوله ، وإنما هى حضور علم بها بصفاتها ، لأنها لم تغب عنهم صفاتها ؛ إذ كانوا قريبى عهد بها .

٥٠- وقال تعالى : ﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴾[٤].

المعرفة هنا حضور علمه بهم ؛ لأنه مازال ماثلا فى ذهنه ، فهم إخوته ، وقد فارقهم وهم رجال ، وزيهم كان أقرب من زيهم إذ ذاك ، ولأن همته كانت معقودة عليهم متعلقة بهم .

---

(١) من الآية ٧٢ سورة الحج.

(٢) الكشاف ٢٢/٣.

(٣) الآية ٦٢ سورة يوسف .

(٤) الآية ٥٨ سورة يوسف .

قال الزمخشري « وقد يكونون انتسبوا إلى قومهم ومكانتهم ليستأذنوا عليه فعرفهم » [١].

فالمعرفة فى الآية الكريمة استحضار علم سابق ، بدلالة ماذكروه له ليدخلوا عليه .

[١٠] وقال تعالى : ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْاْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾[٢].

أى يعرفونهم بعلامات يتميزون بها قد عرفوهم بها قبل ذلك ، فهم يستحضرون معرفتهم بهم بهذه العلامات .

[١١] وقال تعالى : ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [٣].

أى لهم سبق علم بهم ، فهم يتميزون عندهم بعلاماتهم فإذا ما رأوهم بهذه العلامات عرفوهم ونادوهم .

ولا يخفاك أن المعرفة بالسيما والعلامات هنا استحضار علم سابق بهم ، قد تجدد برؤية العلامات ، وهى مختلفة عنها فى آية البقرة وهى :

[٩] قوله تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ

---

(١) الكشاف ٢/٣٢٩.

(٢) الآية ٤٦ سورة الأعراف.

(٣) الآية ٤٨ سورة الأعراف.

إلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ (١).

فإن العرفة هنا حصول علم صاحب رؤيتهم بعلاماتهم الدالة على فقرهم .

وهذا يدل على أن مسارب المعنى إلى النفس ودلالة الكلمات تخضع لمساقاتها ومقاماتها المختلفة .

ومما اجتمعت فيه المعرفة بضربيها الآية الآتية :

٥١- قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٢).

(التشبيه فى الآية)

وقع التشبيه فى الآية بين معرفة أهل الكتاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم (المشبه) ومعرفتهم أبناءهم (المشبه به) فى التمييز بين الصفات المختلفة المعينة .

يقول الزمخشرى : « يعرفون رسول الله - ﷺ - معرفة جلية يميزون بينه وبين غيره بالوصف المعين المشخص » (٣).

أى يميزون فى معرفتهم له بينه وبين غيره بصفاته المعينة له معنوية كانت أو حسية ، وكذلك الحال فى المشبه به ، وهم الأبناء ؛ إذ يميزونهم عن غيرهم بصفات معنوية وحسية .

ويستظهر أبو حيان أن التشبيه فى الصفات الحسية قائلا :

---

(١) الآية ٢٧٣ سورة البقرة .
(٢) الآية ١٤٦ البقرة.
(٣) الكشاف ٣٢/١.

« وظاهر هذا التشبيه أن المعرفة أريد بها معرفة الوجه والصورة وتشبيهها بمعرفة الأبناء يقوى ذلك ، ويقوى أن الضمير عائد على الرسول - ﷺ - حتى تكون المعرفتان متعلقتين بالمحسوس المشاهد ، وهو آكد فى التشبيه من أن يكون التشبيه وقع بين معرفة متعلقها المعنى ، ومعرفة متعلقها المحسوس »[١].

والحق أن المعرفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم شبهت بمعرفة أولادهم فى الصفات الحسية والمعنوية ، وقد تحققت المعرفة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم- فى جانبها العالى ، إذ إنهم كانوا يعرفونه قبل ولادته وشهدوا بالعلم به فى صفاته المعنوية والحسية معاً مما أوحاه الله إليهم فى التوراة والإنجيل ، كما أخبر الله تعالى فى قوله : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾.[٢]

وقد جاء فى تفسير الطبرى « عن عطاء بن يسار قال : لقيت عبدالله بن عمرو فقلت : أخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة ، قال : أجل ، والله إنه لموصوف فى التوراة كصفته فى القرآن « يأيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً » وحرزا للأميين ، أنت عبدى ورسولى ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ، ولا غليظ ، ولا صخاب فى الأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ، ولن نقبضه حتى نقيم به الملة العوجاء » [٣].

---

(١) البحر المحيط ٤٣٦/١.

(٢) الآية ١٥٧ سورة الأعراف.

(٣) جامع البيان في تأويل آى القران ٨٣/٩.

ثم تحققت معرفتهم لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى جانبها الآخر القريب بعد ولادته وما تلاها من نشأته وبعثته إذ تأملوا فى أماراته التى أعلموا بها، وعرفوه أنه النبى الخاتم الذى عرفوه قبل ، بعلاماته التى أخبرهم الله بها يدل على ذلك خبر بحيرى الراهب مع رسول الله - ﷺ - وعمه أبى طالب والوفد الذى كان مسافراً إلى الشام للتجارة ، ودعوته لهم إلى طعامه لما رأى من علامات فى الوفد ، وأمارات على وجود رسول الله ﷺ .[١]

وكذلك الحال بالنسبة للمشبه به وهو معرفة الأبناء فإنهم عرفوهم بصفاتهم التى اتصفوا بها فى نشأتهم ، ثم هم يميزون بينهم وبين غيرهم بهذه الصفات حسية ومعنوية .

(الفــرق الرابـــع) المعرفة تتعدى إلى مفعول واحد ، لأنها « إدراك الجزئيات عن دليل »[٢] فهى خاصة بإدراك المفرد والتعرف عليه بعلاماته وشواهده التى تميز بينه وبين غيره .

أما العلم فإنه يتعدى إلى مفعولين ، وإلى مفعول واحد ، فمتعلقة حكم ، أو غيره.

وقد حكى العسكرى عن أهل العلم أنهم يقولون : « العلم يتعدى إلى مفعولين، ليس لك الاقتصار على أحدهما ، إلا أن يكون بمعنى المعرفة ، كقوله تعالى : ﴿ **لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ** ﴾ [٣] أى ، لا تعرفونهم الله يعرفهم ».[٤]

لكن كلام الراغب عند تعريفه العلم - وهو حق - صريح فى أن العلم يتعدى

(١) انظر سيرة ابن هشام ١/ ١٩٤.
(٢) التوضيح على التنقيح ١/ ١٠.
(٣) من الآية ٦٠ سورة الأنفال .
(٤) الفروق فى اللغة ٧٣.

إلى مفعول واحد ، ويستشهد بالآية التى استشهد بها العسكرى . دون تأويل فى معنى العلم - مما يدل على عدم موافقته العسكرى فيما ذهب إليه .

قال : « العلم إدراك الشئ بحقيقته ، وذلك ضربان : أحدهما : إدراك ذات الشيء ، والثانى : الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له ، أو نفى شيء هو منفى عنه .

فالأول : هو المتعدى إلى مفعول واحد ، نحو « لا تعلمونهم الله يعلمهم » .

والثانى : المتعدى إلى مفعولين ، نحو قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ ﴾[١] .... »[٢]

وإلى ذلك ذهب أبو حيان عند تفسيره سورة الأنفال ، قال : « العلم هنا ، كالمعرفة ، تعدى إلى واحد ، وهو متعلق بالذوات ، وليس متعلقا بالنسبة ، ومن جعله متعلقا بالنسبة ، فقدر مفعولاً ثانياً محذوفا وقدره (محاربين) فقد أبعد ؛ لأن حذف ذلك ، دون تقدم ذكر ممنوع عند بعض النحويين ، وعزيز جدا عند بعضهم ، فلا يحمل القرآن عليه ، مع إمكان حمل اللفظ على غيره ، وتمكنه من المعنى »[٣].

ويؤيد ما ذهب إليه الراغب من إبقاء (العلم) بمعناه دون تأويله بالمعرفة مايأتى :

أولا : إنه لا يصح حمل العلم المسند إلى الله تعالى فى قوله : « الله يعلمهم » على معنى المعرفة ؛ لما سبق عند بيان الفرق الأول بين العلم والمعرفة من أن المعرفة

(١) من الآية ١٠ سورة الممتحنة .
(٢) المفردات فى غريب القرآن ٣٤٣.
(٣)البحر المحيط ٥١٣/٤.

تقوم على التمييز بين الأشياء ، وإعمال الفكر فيها ، وهذا لا يجوز في حق الله تعالى ، وعليه فلا يصح إسنادها إلى الله تعالى .

ثانيا : قد تبين لنا أن العلم القديم يرجع إلى معنى الإحاطة بالأشياء على ماهي عليه في أحوالها المختلفة ، مفردة كانت أو مركبة ، جزئياتها وكلياتها .

فجاء العلم المسند إلى الله تعالى متعديا إلى مفعول واحد في شو هد كثيرة من القرآن الكريم :

٥٢- قال تعالى : ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ (١).

فقد تعدى العلم إلى مفعول واحد مرتين في الآية : (أعلم غيب السموات والأرض) ، (وأعلم ما تبدون ..).

[٥] وقال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ (٢)

فقد تعدى الفعل إلى مفعول واحد (لنعلم من يتبع)

٥٣- وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴾(٣).

فالتعدى أيضا إلى مفعول واحد.

٥٤- وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ ﴾(٤).

---

(١) من الآية ٣٣ سورة البقرة .

(٢) من الآية ١٤٣ سورة البقرة.

(٣) الآية ٢٤ سورة الحجر.

(٤) من الآية ٣٤ سورة لقمان.

(فقد أضيف المصدر إلى مفعوله (علم الساعة) وتعدى الفعل إلى مفعول واحد (ويعلم ما فى الأرحام).

٥٥- وقال تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ﴾ (١)

التعدى أيضا - إلى مفعول واحد (يعلم ما يلج).

٥٦- وقال تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ ﴾(٢)

تعدى الفعل إلى مفعول واحد.

والشواهد من هذا كثيرة ، قد تعدى فيها العلم إلى مفعول واحد دون الحاجة إلى تأويل بمعنى المعرفة التى لا يصح إسنادها إلى الله تعالى.

ثالثاً : يأتى العلم - أيضا - مسنداً إلى الخلق متعديا إلى مفعول واحـ ، عندما يراد به إدراك المفرد (التصور).

[١٥] قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِي السَّبْتِ ﴾ (٣)

فالعلم تعدى إلى مفرد لأن المراد به التصور ، وليس العلم فى الآية محمولا على معنى المعرفة ، لأن السياق ليس سياق تمييز بينهم وبين غيرهم علاماتهم وسماتهم.

[٢٢] وقال تعالى : ﴿ قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾.(٤)

فقد تعدى إلى مفرد .

---

(١) من الآية ٢ سورة سبأ و ٤ سورة الحديد.

(٢) من الآية ٣١ سورة المدثر.

(٣) من الآية ٦٥ سورة البقرة.

(٤) من الآية ٥٠ سورة الأنعام.

٥٧- وقال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴾(١)

الفعل تعدى إلى مفرد (وتعلم الكاذبين) أى تتصورهم وتدرك حقيقتهم.

[٢٩] وقال تعالى : ﴿ وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾ (٢)

أى جعل الله القمر منازل لتتمكنوا من علم الحساب.

والشواهد من هذا الباب كثيرة تدل على أن العلم يأتى مراداً به التصور فيتعدى إلى مفرد كما يراد به إدراك النسبة (التصديق).

ويكون لفظ العلم بمعناه دون تأويل بمعنى المعرفة لافتراقهما فى الدلالة إلا إذا وجدت قرينة دالة على ذلك.

(١) من الآية ٤٣ سورة التوبة.
(٢) من الآية ٥ سورة يونس .

(حذف متعلق العلم)

قد يحذف متعلق العلم ، ويكثر ذلك عندما يكون الفعل مضارعاً من الآمثلة الخمسة واقعاً فى فواصل الآيات .

ويتبين لنا من مساق الشواهد أن حذف المفعول فيها نوعان :

« النوع الأول » أن ينزل الفعل منزله اللازم ، بأن يكون الغرض مجرد إسناد الفعل إلى الفاعل مطلقا ، من غير نظر إلى تعلقه بمفعول ، وهذا النوع ضربان :

الضرب الأول - أن يذكر الفعل ولا ينوى له مفعول أصلا ، بأن يكون المقصود إثبات الفعل فى نفسه ، كقوله تعالى ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ * وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ (١) فالمفهوم من الفعل حقيقته ، ووقوعه من الله - جل وعلا - دون تعرض للمفعول ، ذكراً أو تقديراً .

ومثله قولهم فلان يحل ويعقد ، ويأمر وينهى ، ويضر وينفع ، ويعطى ويمنع ، فالمعنى فى كل ذلك على إثبات الفعل دون نظر للمفعول .

ومن شواهد ذلك فى آيات الإخبار بالعلم إثباتاً ونفيا :

٥٨- قوله تعالى ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٢).

فالمعنى - والله أعلم - أمن هو قانت كغيره ؟ والحق أنهما لا يستويان كما لا يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون .

---

(١) الآيتان ٤٣ ، ٤٤ سورة النجم .

(٢) الآية ٩ سورة الزمر.

وليس المعنى الذين يعلمون شيئاً مخصوصا ، والذين لا يعلمون ذلك ا لشئ ، بل المعنى : الذين ثبتت لهم حقيقة العلم ، والذين لم تثبت لهم هذه الحقيقة ، فالفعل منظور إليه باعتبار إثبات ذاته ، دون نظر إلى مفعول . (١)

ويتبدى ذلك عند حديث القرآن الكريم عن بيان الأحكام وتفصيل الآيات لأهل العلم .

٥٩- قال تعالى : ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِن طَلَّقَهَا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (٢).

أى من شأنهم العلم والفهم والتدبر ، والعمل بمقتضى علمهم .

٦٠- وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (٣)

أى تفصيلا ينفع أهل العلم والفهم .

٦١- وقال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (٤)

أى شأنهم التدبر والفهم ، فهو صفتهم وحالهم التى هم عليها .

---

(١) انظر شروح التلخيص ١٢٣/١ وتفسير الكشاف ٣/ ٣٩٠.
(٢) الآية ٢٣٠ سورة البقرة .
(٣) الآية ٩٧سورة الانعام .
(٤) الآية ٣٢ سورة الأعراف.

٦٢- وقال تعالى فى شأن معاملة الكافرين والمعاهدين عند المسجد الحرام : ﴿ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

أى لا يتقبل تفصيلها إلا من شأنه العلم والفهم .

قال الزمخشرى : «ونفصل الآيات - ونبينها ، وهذا اعتراض ، كأنه قيل : وإن من تأمل تفصيلها ؛ بعثا وتحريضا على تأمل ما فصل من أحكام المشركين المعاهدين ، وعلى المحافظة عليها » (٢)

ووجه التحريض الإخبار بأن التفصيل لها لمن شأنه وصفته العلم .

(٢٩) وقال تعالى :﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (٣)

أي لقوم صفتهم أن يعلموا ويتدبروا فى خلق الله تعالى .

٦٣- وقال تعالى : ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (٤)

أي لقوم شأنهم العلم بلسانهم وطرائق التعبير عن الأغراض والمقاصد من الآيات . (٥)

ويقوم المعنى على نفى العلم مطلقا دون التعلق بمفعول معين عند الحديث عن الطبع على القلوب والأفئدة ، إذ لا يكون معه علم ألبتة .

(١) الآية ١١ سورة التوبة .
(٢) الكشاف ١٧٧/٢.
(٣) الآية ٥ يونس .
(٤) الآية ٣ سورة فصلت
(٥) انظر الكشاف ٤٤١/٣.

٦٤- قال تعالى ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (١)

أي شأنهم عدم العلم مطلقا لوجود الطبع المانع منه ، دون نظر إلى مفعول معين ، إبانة عن سوء حالهم .

٦٥- وقال تعالى :﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢)

أى يمنع ألطافه التى تنشرح بها الصدور فتقبل الحق فهى تعمى ولا تعلم شيئا. فحذف المفعول ونزل الفعل منزلة اللازم .

٦٦- وقال تعالى : ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (٣)

أى لمن شأنهم الفهم لآيات الله مطلقا ، دون تعلق العلم بشئ معين يقتضى ذكره أو تقديره .

٦٧- وقال تعالى : ﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (٤)

أي لا يكن منكما اتباع لطريق من شأنهم الجهل وعدم العلم بالأمور .

٦٨- وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (٥).

---

(١) الآية ٩٣ سورة التوبة .
(٢) الآية ٥٩ سورة الروم .
(٣) الآية ٥٢ سورة النمل.
(٤) الآية ٨٩ سورة يونس .
(٥) الآية ١٨ سورة الجاثية .

أي لا تتبع هوى من شأنه الجهل ، وعدم العلم ، ممن يقوم أمره على اتباع الأهواء ، وصيغة الجمع (أهواء) ترشح اعتبار حذف المفعول لتنزيل الفعل منزلة اللازم ؛ لأن كثرة الأهواء تفسد الفهم وتذهب بالتدبر والعلم مطلقا . والله أعلم .

(الضرب الآخر) أن يذكر الفعل ، وينوى له في النفس مفعول خاص قد علم موضعه من سبق ذكر ، أو قرينة حال ، إلا أنك تنسيه نفسك ، وتخيل أنك لم تقصد إلا إلى ذات الفعل قصداً إلى المبالغة ، فيكون الفعل مطلقا كناية عنه متعلقا بمفعول مخصوص ، بعد تنزيله منزلة اللازم ، كما فى قول البحترى يمدح المعتز الخليفة العباسى :

شجو حساده وغيظ عداه   أن يرى مبصر ويسمع واعى

فالمعنى : أن يرى مبصر آثاره ، ويسمع واع أخباره ، لكن نزل الفعلان منزله اللازم ، على أن المقصود مجرد إثبات الرؤية والسماع للفاعل ، دون نظر إلى تعلقهما بمفعول خاص هو محاسنه وأخباره ، بادعاء الملازمة بين مطلق الرؤية ورؤية آثاره ومحاسنه ، وبين مطلق السماع وسماع أخباره ، وذلك بادعاء أن محاسنه وفضائله قد بلغت حدا من الوضوح بحيث لا تخفى على ذى بصر وذى سمع ، وهذا الغرض يزول بذكر المفعول به ، أو تقديره .(١)

ومن الشواهد التى يظهر دخولها فى هذا الضرب الآيات القرآنية التى أتى فيها العلم منفيا عن أكثر الناس غير مقيد فى الذكر بمفعول به ، وذلك كناية عن نفيه مقيداً بمفعول تعينه القرائن ، يكشف ذلك لنا التدبر فى الآية الآتية والآيات التى نذكرها بعدها :

---

(١) انظر شروح التلخيص ١ ، ١٢٧ وما بعدها .

٦٩- قال تعالى : ﴿ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (١)

فالنفى فى الآية للعلم دون تقييد بمفعول به تنزيلا للفعل منزله اللازم لأن القصد إلى الفعل فى ذاته .

قال أبو حيان : « ولكن أكثر الناس لا يعلمون » أي لا يتأملون لغابة الغفلة عليهم . (٢)

وإطلاق نفى العلم عنهم يستلزم نفى علمهم ما حاجوا فيه ، وجادلوا فى صدقه ، وهو البعث والحساب .

قال الزمخشرى :« فإن قلت : كيف اتصل قوله :« لخلق السموات والأرض» بما قبله ؟ قلت : إن مجادلتهم فى آيات الله كانت مشتملة على إنكار البعث ، وهو أصل المجادلة ومدارها ، فحجوا بخلق السموات والأرض ، لأنهم كانوا مقرين بأن الله خالقها ، وبأنها خلق عظيم ، لا يقادر قدره ، وخلق الناس بالقياس إليه شئ قليل مهين ، فمن قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الإنسان مع مهانته أقدر، وهذا أبلغ فى الاستشهاد بخلق مثله » (٣).

وواضح أننا استدللنا بقرائن المقام على المفعول به .

٧٠ - وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (٤)

---

(١) الآية ٥٧ سورة غافر.
(٢) البحر المحيط ٤٧٢/٧.
(٣) الكشاف ٤٣٣/٣.
(٤) الآية ٣٧ سورة الانعام.

نفى الله سبحانه وتعالى - عنهم العلم نفيا مطلقا دون تقييد بمفعول به ، كناية عن نفى علمهم بأن الله قادر على أن ينزل هذه الآية .

٧١- وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١)

نفى العلم عنهم مطلقا كأنه أحاطت بهم ظلمة الجهل كناية عن نفى علمهم بأن الله هو الذى يجرى الأمور بمشيئته .

٧٢- وقال تعالى : ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢)

أي أن جهلهم مطبق لا يبصرون منه حقائق الأمور ، وهذا الجهل يستلزم جهلهم بمن يستحق ولاية المسجد الحرام من أهل الإيمان والصلاح ، فتعميم نفى العلم كناية عن خصوص نفيه عما يدل عليه السياق .

٧٣- وقال تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣)

أي أكثرهم جهلاء بحقائق الأمور ، منها صدق الله فى وعده الذى وعد الله به نبيه .

٧٤- وقال تعالى : ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٤)

(١) الآية ١٣١ سورة الأعراف .
(٢) الآية ٣٤ سورة الانفال.
(٣) الآية ٥٥ سورة يونس .
(٤) الآية ٤٠ سورة يوسف .

أطلق الفعل عن التقييد بالمفعول به ؛ إفادة لجهلهم المطبق المستلزم لعدم علمهم بما يدل عليه السياق ، وهو (ذلك الدين القيم).

٧٥- وقال تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (١)

أي لا يعلمون ما ينفعهم وما فيه خيرهم ، ومن ذلك إيمانهم بالبعث بعد الموت.

٧٦- وقال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢)

لم يأت مفعول (لايعلمون) تنزيلا له منزله اللازم إفادة لثبوت ذلك لأكثر الناس ، ثم ينتفى عنهم العلم بأن ذلك الدين القيم على سبيل الملازمة بين النفيين .

وهكذا الحال فى جميع الشواهد التى جاء فيها نفى العلم عن أكثر الناس.(٣)

٧٧ - وقال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (٤)

شبههم الله تعالى فى حال نبذهم كتاب اله وهو التوراة لذكره محمداً - صلى الله عليه وسلم - بحال عدم علمهم ، فالتشبيه تشبيه من يعلم شيئا معينا به عند عدم علمه مطلقا .

وفى هذا دلالة على أن علمهم به رصين لكنهم كابروا وعاندوا حقدا وكراهية للرسول وللحق الذى جاء به .

---

(١) الآية ٣٨ سورة النحل .

(٢) الآية ٣٠ سورة الروم .

(٣) جميع شواهد هذا النوع فى القرآن الكريم خمسة وعشرون شاهداً .

(٤) الآية ١٠١ سورة البقرة .

وقد حذف مفعول الفعل (يعلمون) وكنى بعموم نفيه عن نفيه متعلقا بكتابهم وهو التوراة ، أو الإنجيل ، عند التشبيه ، مبالغة فى إفادة شدة عنادهم .

(النوع الثانى) أن يقصد تعلق الفعل بمفعول ، وأن يراعى فى الكلام ، ويلتفت إليه ، فيكون له تقدير حسب ما تدل عليه القرائن .

وحذفه عندئذ مشروط بشرطين :

أحدهما : دلالة القرينة على الحذف ، ووضوح دلالتها على المحذف من ناحية عمومه وخصوصه .

الآخر : وجود غرض للحذف ، وهى كثيرة . وهو فى حذف مفعول الفعل (يعلمون) راجع إلى كونه متعينا غير خفى ، فيكون حذفه منعا للعبث والإطاله دون ضرورة ، فضلا عن تحقق مراعاة الفاصلة فى الآيات ، إذ لا مشاحة فى وجود النكتتين معا .

ومن هذه الشواهد :

٧٨- قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ ﴾(١)

فالمفعول لقوله (لايعلمون) محذوف ، يدل عليه سياق الآية ، تقديره : لا يعلمون سفههم وجهلهم ، وحذفه لتعيينه ، وعدم خفائه احترازاً عن العبث ، فضلا عن مراعاة فواصل الآيات التى قبلها والتى بعدها ، فإنها مختومة بالنون ، مما تحقق به حسن النظم .

---

(١) الآية ١٣ سورة البقرة .

٧٩ - وقال تعالى : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (١)

أي يعلمون أنهم كاذبون مفترون .(٢)

[٥١] - وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٣)

أي : يعلمون أنه حق ، وأنهم يكتمونه جحودا ونكرانا .

٨٠- وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ (٤)

أى : والله يعلم ما فى ذلك من الزكاة والطهارة وأنتم لا تعلمونه . (٥)

وليس السياق لإثبات العلم مطلقا لله ، ونفيه عن المؤمنين . وإنما لإثباته متعلقا بمفعول ، وهو الحكمة من الأمر إثباتا لله ونفيا عن المخاطبين .

٨١ - وقال تعالى : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾(٦).

(١) الآية ٧٥ سورة البقرة .
(٢)أنظر الكشاف ١/ ٢٩٦.
(٣) الآية ١٤٦) سورة البقرة .
(٤) الآية ٢٣٢ سورة البقرة.
(٥) انظر الكشاف ١/ ٣٦٩.
(٦) الآية ٧٥ سورة آل عمران .

أي : وهم يعلمون أنهم كاذبون فيما يدعون على الله ، من أن ذلك فى كتابهم.

٨٢- وقال تعالى :﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ (١)

أي : وهم يعلمون قبحها وسوءها .

قال الزمخشرى :« والمعنى : وليسوا ممن يصرون على الذنوب ، وهم عالمون بقبحها ، وبالنهى عنها ، وبالوعيد عليها » (٢).

٨٣ - وقال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَيَعْلَمُونَ** ﴾(٣)

أي من حيث لا يعلمون ما يراد بهم .

٨٤- وقال تعالى : ﴿ **وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ** ﴾ (٤)

أى « لا يعلمون الإسلام ، وما حقيقة ما يدعو إليه ؟ » (٥)

ومن شواهد هذا النوع ما يأتى فيه الفعل (يعلمون) فى سياق الوعيد والجزاء، فيحذف منه المفعول المتوعد به .

---

(١) الآية ١٣٥ سورة آل عمران .
(٢) الكشاف ٤٦٤/١.
(٣) الآية ١٨٢ سورة الأعراف.
(٤) الآية ٦ سورة التوبة .
(٥) الكشاف ١٧٥/٢.

٨٥- قال تعالى : ﴿ فذَرْهُمْ يأْكُلُوا ويَتَمَتَّعُوا ويُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ (١).

أي : فسوف يعلمون جزاءهم ومصيرهم .

٨٦- وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ (٢)

أي سوف يعلمون ما يستحقونه من العقاب ، وهكذا.

٨٧- وقال تعالى : ﴿ ليكفروا بما آتيناهم وليمتعوا فسوف يعلمون ﴾ (٣)

٨٨ - وقال تعالى : ﴿ فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ (٤) .

٨٩- وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ (٥)

٩٠ - وقال تعالى : ﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ (٦)

٩١ - وقال تعالى : ﴿ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ ﴾ (٧)

أى النبأ العظيم الذين يسألون عنه

وإذا كان متعلق العلم قد جاء محذوفا فى الشواهد المتعددة السابقة للنكتة التى بيناها - فإن شواهد المعرفة فى القرآن الكريم لم يأت فيها حذف المتعلق إلا فى شاهد واحد كان ضميراً عائداً على مذكور لفظا.

---

(١) الآية ٣ سورة الحجر.
(٢) الآية ٩٦ سورة الحجر.
(٣) الآية ٦٦ سورة العنكبوت .
(٤) الآية ١٧٠ سورة الصافات .
(٥) الآية ٧٠ سورة غافر .
(٦) الآية ٨٩ سورة الزخرف .
(٧) الآيتان ٤ ، ٥ سورة النبأ.

[٢٤] قال تعالى :﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (١)

أي : ماعرفوه ، وهو القرآن ، أو محمد عليه الصلاة والسلام.

(مواضع تأكيد العلم والمعرفة)

للتأكيد دلالته على شدة الاهتمام بالمؤكد ، وقد جاء تأكيد العلم والمعرفة فى سبعة تراكيب وقعت فى خمس آيات من القرآن الكريم ، دلالة على الاهتمام بمتعلق العلم و المعرفة فيها .

فقد جاء تأكيد علم الله تعالى متعلقا بالصادقين ، ومتعلقا بالكاذبين .

٩٢- قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (٢)

أكد الله علمه بهما إعلاما بما يستحقانه من الوعد والوعيد . قال الزفحشرى: « كأنه قال : وليثيبن الذين صدقوا وليعاقبن الكاذبين » (٣).

كما جاء تأكيد علمه بالمؤمنين والمنافقين .

٩٣ - قال تعالى : ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴾ (٤)

وعناية القرآن الكريم بتأكيد علم الله تعالى بالمؤمنين والمنافقين فى هذه الآية، وبالصادقين الذين هم المؤمنون ، وبالكاذبين الذين هم المنافقون فى الآية التى ذكرناها

(١) الآية ٨٩ سورة البقرة.
(٢) الآية ٣ سورة العنكبوت .
(٣) الكشاف ١٩٦/٣.
(٤) الآية ١١ سورة العنكبوت .

قبل - للدلالة على المقصد الأسنى للدعوة الإسلامية ، وهو التمييز بين أهل الحق المؤمنين الصادقين وبين أهل الباطل الكاذبين المنافقين ، والتنبية إلى ما ينتظر كل فريق من الجزاء فى الدينا والآخرة .

كما أكد الله تعالى علم الخلق المتعلق بنبأ القرآن الكريم وبلوغ شأنه .

٩٤ - قال تعالى : ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ (١)

قال الزفخشرى : « أى ما يأتيكم عند الموت ، أو يوم القيامة ، أو عند ظهور الإسلام وفشوه ، من صحة خبره ، وأنه الحق والصدق ، وفيه تهديد » (٢)

أى يقصد من الإخبار بذلك لازمه وهو التهديد بالعذاب ، والأخذ على المخالفة.

وقد ذكر القرآن الكريم مقالة فرعون ، وتأكيده للسحرة الذين آمنوا بموسى - على نبينا وعليه السلام - علمهم بشدة ما يسلطه عليهم من عذاب .

٩٥- قال تعالى : ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴾ (٣)

وفى هذا تهديد لهم على إيمانهم برب موسى ، وعصيانه .

وقد جاء تأكيد المعرفة فى سياق حديث القرآن الكريم عن المنافقين ومعرفة الرسول لهم .

[١٣] قال تعالى : ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴾ (٤)

---

(١) الآية ٨٨ سورة ص .

(٢) الكشاف ٣/٣٨٥.

(٣) الآية ٧١ سورة طه .

(٤) الآية ٣٠ سورة محمد.

فكما اهتم القرآن بالتأكيد لعلم الله تعالى بالمنافقين وعقابهم على نفاقهم ؛ اهتم كذلك بتأكيد معرفة الرسول صلى الله وسلم لهم فى لحن القول . مما له دلالة على خطورة أمر المنافقين على الأمة الإسلامية ، ووجوب التحوط منهم ، ومعرفة أحوالهم ومكرهم بالمسلمين ، لأنهم أشد خطورة على الأمة لتخفيهم وخيانتهم .

ولما كان لحن القول أخفى فى المعرفة من العلامات الظاهرة المرئية بالنظر استحوذت معرفته بالتأكيد ، والله أعلم .

(الصفات المشتقة من العلم والمعرفة)

بتقصى شواهد القرآن الكريم لاحظت فى مجئ الصفات المشتقة ما يأتى :

جاء اسم الفاعل (عالم) وصفا لله تعالى فى ثلاث عشرة أية ، ولم يأت وصفا للمخلوقات .

ويبدو - والله أعلم - أن استحواذ المخلوقات على المعلومات - مهما بلغ - يتقاصر فى الحقيقة عن وصف الواحد منها بصفة (عالم) ، وهذا يشعر بأن الإنسان ينبغى له مواصلة تحصيل العلم ، إذ لا يحق له أن يظن أنه وصل إلى حد يكفيه للوصف بذلك .

أما جمع الوصف جمع مذكر سالما (عالمون) فقد جاء فى خمسة تراكيب كان فى اثنين منها وصفا لله تعالى على سبيل التعظيم .

٩٦- قال تعالى :﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِه عَالِمِينَ ﴾ (١)

---

(١) الآية ٥١ سورة الانبياء.

٩٧ - وقال تعالى : ﴿ ولِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تجْرِي بأمْرِهِ إلَى الأرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴾ (١)

فى الثلاثة الأخرى وصفا للإنسان .

٩٨- قال تعالى :﴿ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ ومَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلامِ بِعَالِمِينَ ﴾ (٢)

نفوا علمهم بتأويل الرؤيا .

٩٩- وقال تعالى : ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾ (٣)

١٠٠ - وقال تعالى : ﴿ ومِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ واخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وأَلْوَانِكُمْ إنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾ (٤)

أما جمع التكسير فقد جاء وصفا للإنسان مرتين .

١٠١- قال تعالى : ﴿ أَولَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إسْرَائِيلَ ﴾ (٥)

١٠٢- وقال تعالى :﴿ ومِنَ النَّاسِ والدَّوَابِّ والأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ (٦)

ويبدو - والله أعلم - أن تعدد جوانب العلم وتنوعها عند أهله ، وتناول كل واحد منهم فرعاً من فروعه يجعلهم جديرين بوصفهم بصفة العلم معا بصيغة الجمع .

---

(١) الآية ٨١ سورة الأنبياء.
(٢) الآية ٤٤ سورة يوسف .
(٣) الآية ٤٣ سورة العنكبوت .
(٤) الآية ٢٢ سورة الروم .
(٥) الآية ١٩٧ سورة الشعراء.
(٦) الآية ٢٨ سورة فاطر.

أما صيغة المبالغة (عليم) فقد جاءت فى اثنتين وستين ومائة آية . منها سبعة شواهد وقعت فيها صفة للإنسان ، أربعة منها عند الحديث عن سحرة فرعون الذين أتى بهم ليغالبوا موسى عليه السلام ، ظنا منه أن عندهم سحرا أعظم مما عند موسى عليه السلام كما يظن فى المعجزة .

١٠٣- قال تعالى : ﴿ قَالَ الْمَلأُ من قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ (١)

١٠٤- وقال تعالى : ﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴾ (٢)

١٠٥- وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴾ (٣)

١٠٦- وقال تعالى : ﴿ قَالَ لِلْمَلأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ (٤)

ومنها شاهدان فى قصة يوسف

١٠٧- قال تعالى : ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ (٥)

قال الزمخشرى : « وصف نفسه بالأمانة والكفاية اللتين هما طلبة الملوك ممن يولونه ، إنما قال ذلك ليتوصل إلى إمضاء أحكام الله تعالى ، وإقامه الحق ، وبسط العدل ، والتمكن مما لأجله تبعث الأنبياء إلى العباد ، ولعلمه أن أحداً غيره لا يقوم مقامه فى ذلك ، فطلب التولية ابتغاء وجه الله ، لا لحب الملك والدينار » (٦)

١٠٨- وقال تعالى : ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ (٧)

---

(١) الآية ١٠٩ سورة الأعراف.
(٢) الآية ١١٢ سورة الأعراف.
(٣) الآية ٧٩ سورة يونس.
(٤) الآية ٣٤ سورة الشعراء.
(٥) الآية ٥٥ سورة يوسف.
(٦) الكشاف ٢/٢٢٨.
(٧) من الآية ٧٦ سورة يوسف.

إخبار عن درجات العلم وأن لكل عالم منزلة فيه .

والشاهد السابع فى بشارة الملائكة إبراهيم بولادة إسحاق عليهم السلام .

١٠٩- قال تعالى : ﴿ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ ﴾[١]

« أى سيكون عليما ، وفيه تبشير بحياته حتى يكون من العلماء وعن الحسن عليم : نبى »[٢]

ورتبة الأنبياء رتبة عالية فى العلم ، فكان الوصف بصيغة المبالغة (عليم) مساوقا لذلك .

أما صيغة أفعل التفضيل (أعلم) فقد جاءت فى تسع وأربعين آية . وصفا لله تعالى ؛ ماعدا شاهداً واحداً ، جاءت فيه صفة للملائكة .

١١٠- قال تعالى : ﴿ قال إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين ﴾ [٣]

وصفوا أنفسهم بذلك ، لأن علمهم من الله تعالى ، فاستحقوا أن يوصفوا بالوصف المذكور . والله أعلم .

بقى أن نقول إن (المعرفة) لم تأت منها الصفات السابقة التى جاءت من العلم . وذلك فى القرآن الكريم .

---

(١) الآية ٢٨ سورة الذاريات.
(٢) البحر المحيط ١٣٩/٨.
(٣) الآية ٣٢ سورة العنكبوت .

المبحث الثانى

الفرق بين العلم والفقه

« المبحث الثانى »

الفـرق بين العلـم والفقــه

الشأن - الغالب فى المعاجم أن تفسر الألفاظ بمعان متعددة ، بحيث يتعاورها التخصيص والتعميم فى كثير من الأحيان .

وكان حالهم كذلك عند بيانهم معنى (الفقه) فقد جاء فى اللسان « الفقه العلم بالشئ ، والفهم له ، وغلب على علم الدين لسيادته وشرفه ، وفضله على سائر أنواع العلم ، كما غلب النجم علي الثريا ، وقد جعله العرف خاصا بعلم الشريعة ، وتخصيصا بعلم الفروع منها .[(١)]

وجاء في أساس البلاغة « قال أعرابى لعيسى بن عمر : شهدت عليك بالفقه، أى : بالفهم والفطنة . وفى الحديث : « من أراد الله به خيراً يفقهه فى الدين . . »[(٢)]

وحقق العسكرى معنى الفقه بقوله : « الفقه هو العلم بمقتضى الكلام على تأمله ، ولهذا لا يقال : الله يفقه ؛ لأنه لا يوصف بالتأمل . وتقول لمن تخاطبه : تفقه ما أقوله ، أى تأمله لتعرفه ، ولا يستعمل إلا على معنى الكلام »[(٣)]

ويفهم من ذلك أن الله سبحانه وتعالى - لا يوصف بالفقه ، لأنه لا يتأمل معلوماته ، لأن التأمل يكون لإزالة الجهل ، وإدراك المتأمل فيه ، وحاشاه جل وعلا

---

(١) لسان العرب ٣٤٥٠ .

(٢)أساس البلاغة ٣٤٦.

(٣) الفروق في اللغة ٨٠ .

من ذلك ، كما تنزه سبحانه عن المعرفة لكونها ترجع إلى التأمل فى الشواهد والأمارات لإزالة إنكار الشئ ولمعرفته .

وبين الراغب العلاقة بين العلم والفقه وصفين للمخلوق قائلا :

« الفقه هو التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد ، فهو أخصّ من العلم » (١)

ويستفاد من ذلك أن بين العلم والفقه عموما وخصوصا مطلقا ، إذ كل فقه علم ، وليس كل علم فقها ، فيجتمعان فى أن كلا منهما إدراك معلوم ، لكنهما يفترقان فيما يأتى :

(الفــرق الأول) الفقه علم بكلام ، وحاصل تأمله وتدبره ، وإدراك تأويله ؛ لذا « سمى علم الشرع فقها لأنه مبنى عن معرفة كلام الله تعالى ، وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم » (٢)

ويستوى كون ما يتلقى منه الفقه كلاماً صريحاً ، وكونه كلاماً بلسان الحال ، تدل على ذلك شواهد القرآن الكريم دلالة ظاهرة .

فمن شواهد الكلام الصريح :

١١١ - قوله تعالى : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ (٣)

(١) المفردات فى غريب القرآن ٣٨٤.
(٢) الفروق فى اللغة ٨٠.
(٣) الآية ٧٨ النساء.

أى لم يتدبروا القرآن ، ولم يفقهوا ما أخبرهم به، من أن الموت يدركهم ولو كانوا فى بروج مشيدة ، وأن الحسنة والسيئة من عند الله ، فهو الباسط القابض ، وكل شئ صادر منه عن حكمة . (١)

فمحل الفقه والتدبر كلام صريح ، و عربى مبين .

١١٢- وقوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (٢)

أى يستمعون القرآن وآياته التى أعجزتهم ، لكنهم لا يتدبرونه ولا يفقهونه ؛ لأن الأكنة حالت بينهم وبين فقهه ، فالضمير فى (يفقهوه) للقرآن الكريم ، وهو كلام عربى مبين .

ومما هو كلام بلسان الحال ، لا بلسان المقال .

١١٣- قوله تعالى :﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَٰوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (٣)

يقول الزمخشرى : « المراد أنها تسبح له بلسان الحال ، حيث تدل على الصانع، وعلى قدرته وحكمته ، فكأنها تنطق بذلك ، وكأنها تنزه الله عزوجل ، مما لايجوز عليه من الشركاء وغيرها » (٤)

---

(١) انظر الكشاف ١/٥٤٥ والبحر المحيط ٣/٣٠٠.
(٢) الآية ٢٥ سورة الانعام.
(٣) الآية ٤٤ الإسراء.
(٤) الكشاف ٢/٤٥١.

وعليه فالتسبيح هنا ليس كلاماً وألفاظا ، وإنما هو دلالة بالشواهد والأمارات، وعليه فالتسبيح على سبيل المجاز . (١)

لكن أبا حيان يحكى القول بأن التسبيح على سبيل الحقيقة ، أى هو كلام .

قال : « نسبة التسبيح للسموات والأرض ومن فيهن ، من ملك وإنس وجن - حمله بعضهم على النطق بالتسبيح حقيقة ، وأن ما لا حياة فيه ولا نمو يحدث الله له نطقا ، وهو ظاهر اللفظ ؛ ولذلك جاء « ولكن لا تفقهون تسبيحهم .. » (٢)

وأيا ماكان فالفقه تأمل للتسبيح حقيقة كان أو مجازاً.

أما العلم فإنه أعم من الفقه ؛ لأنه لا يتعين فيه أن يكون مآل كلام سابق وحاصل تدبر له وتأويل ؛ إذ قد يكون متلقى من غير أن يسبقه كلام .

وشواهد ذلك كثيرة ، خاصة فيما يراد به إدراك المفرد (التصور) لا الحكم.

١١٤- قال تعالى : ﴿ وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴾ (٣)

أى ستعلمون الذى يصيبه العذاب منا فى الدنيا والآخرة ؛ فالمعلوم هنا مفرد ،

١١٥- وقال تعالى : ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا

(١) استعارة تبعية . بتشبيه دلالة الحال بالتسبيح والنطق في إيضاح المعنى ، وإيصاله إلى الذهن ، فدخلت الدلالة فى جنس التسبيح بهذا التأويل ، واستعير لفظ التسبيح ثم اشتق منه الفعل (تسبح) وبقيت أصلية في قوله (تسبيحهم) انظر المطول ٣٧٤ ففيه شواهد لذلك .

(٢) البحر الميحط ٦/ ٤٠ .

(٣) الآية ٩٣ سورة هود.

عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (١)

أي ما علمنا عليه سوءا أصابه وصار صفة له ، فالمعلوم هنا مفرد.

١١٦- وقال تعالى : ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢)

أي ما لا تعلمون خلقه في أرض الله الواسعة ، لأن ما غاب عنكم أكثر مما علمتموه .

١١٧- وقال تعالى : ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ (٣)

أي لا تعلم له شبيها ومثيلاً . حاشا لله أن يكون له مثل .

١١٨- وقال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾(٤)

أي ستعلمون الضال من المهتدى.

---

(١) الآية ٥١ سورة يوسف .
(٢) الآية ٨ سورة النحل .
(٣) الآية ٦٥ سورة مريم .
(٤) الآية ٢٩ سورة الملك .

وقد يكون العلم إدراكا لكلام ، وإحاطة به دون فقه له وتأمل فيه .

١١٩- قال تعالى : ﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ (١)

أى إذا بلغه شىء من الآيات ، وعلم به اتخذ آيات الله هزوا ولم يؤمن بها . فضلا عن عدم تدبره لها ، ولا يتأتى مجئ الفقه مع اتخاذها هزوا ؛ فالسياق للعلم، لا للفقه.

ومن دقة النظم القرآنى إتيانه بالفقه عند إرادة تدبر الكلام وفهمه ، كما كان فى آية سورة الإسرار السابقة ﴿ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ (٢)

لكن عند إفادة معنى الإدراك دون إفادة التدبر والتأمل يؤتى بالعلم دون الفقه:

١٢٠ - قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (٣)

فالمعنى - والله أعلم - علم مايصلى به ، ومايسبح به ربه ، كما ألهمها للحيوانات والطيور ، ونحن نرى من صور العلم الحديث التى تسجل للحيوانات والطيور ما تفعله - مايدل على أن الله قد ألهمها من العلوم الدقيقة التى لا يكاد أهل العقول أن يهتدوا إليها . (٤) فسياق الآية لإثبات العلم بصلاتهم لا إثبات فقه صلاتهم وتسبيحهم .

---

(١) الآية ٩ سورة الجاثية .
(٢) من الآية ٤٤ سورة الإسراء.
(٣) الآية ٤١ سورة النور .
(٤)انظر الكشاف ٣/ ٧٠ والبحر المحيط ٦/٤٦٣.

١٢١- وقال تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلا جُنُبًا إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا ﴾ (١)

« حتى تعلموا ماتقولون » أى حتى تدركوه وتعقلوه ، ولا تقعوا فى الخطأ واللحن عند القراءة ، وليس النهى عن السكر وقت الصلاة لكى يفقهوا ما يقولون ، لأن شرط صحة الصلاة العلم بما يقوله ، دون الفقه له ، قال القرطبى عن صلاة السكران : « لا تصح صلاته ، وإن صلى قضى . وإن كان بحيث يعلم ما يقول ، وأتى بالصلاة فحكمة حكم الصاحى » (٢)

يؤيد ذلك أن الله تعالى عاب السهو عن الصلاة بتركها ، دون السهو فيها والغفلة عن القراءة فيها ، قال تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ④ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ (٣)

قال الزمخشرى : « فإن قلت : أى فرق بين قوله : (عن صلاتهم) وبين قولك : (فى صلاتهم) ؟ قلت : معنى (عن) أنهم ساهون عنها سهو ترك لها ، وقلة التفات إليها ، وذلك فعل المنافقين ، أو الفسقة الشطار من المسلمين ، ومعنى (فى) أن السهو يعتريهم فيها بوسوسة الشيطان ، أو حديث نفسى ، وذلك لا يكاد يخلو منه مسلم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم - يقع له السهو فى صلاته، فضلا عن غيره ، ومن ثم أثبت الفقهاء سجود السهو فى كتبهم ، وعن أنس رضى الله عنه : « الحمد لله على أن لم يقل : فى صلاتهم » (٤)

---

(١) من الآية ٤٣ سورة النساء.
(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٧٧٤.
(٣) الآيتان ٤ ، ٥ سورة الماعون .
(٤) الكشاف ٢٨٩/٤.

بهذا ظهر أن النهى عن قرب الصلاة فى حال السكر لكى يعلم المصلى قوله ، لا ليفقه قوله ؛ إذ الفقه متروك لفضل الله تعالى ، وإنعامه به على عبده .

ومما هو دقيق الدلالة على الفرق بين العلم بالقول ، والفقه له ، وأن لكل منهما سياقه الذى يأتى فيه -

١٢٢- قول تعالى : ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ (١)

ينكر الله - سبحانه وتعالى - عليهم قولهم : (الله أمرنا بها) لأنه قول لا يعلمونه عن الله تعالى ، بل يفترونه عليه .

ولا يصح أن نقول « ما لا يفقهون » لأن الإنكار عندئذ سيكون للتدبر والتأمل ، الذى هو مفهوم الفقه ، لا للعلم به عن الله تعالى . فيكون المعنى على أنهم علموه ، لكنهم لم يفقهوه ، والمعنى على غير ذلك ، فالآية نفت العلم من أساسه لأن الله لم يقله لهم ، فضلا عن نفى الفقه له ، لأن نفى الأعم - وهو العلم - يقتضى نفى الأخص وهو الفقه ، والله أعلم .

من قبيل ذلك .

١٢٣- قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢)

أى ما لا تعلمون عن الله قوله من التحريم وغيره ، وتقولكم على الله ، وافتراؤكم عليه . (٣)

---

(١) الآية ٢٨ سورة الأعراف.

(٢) الآية ٣٣ سورة الأعراف.

(٣) انظر الكشاف ٢/٧٧.

فالنفى فى الآية نفى لعلمهم ذلك عن الله ألبتة ، وليس السياق لنفى فقهم ما يقولون عن الله بعد أن علموه عنه - حاشالله أن يكون منه ما افتروه .

١٢٤- وقال تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (١)

جاء تذييل الآية بقوله : لا يعلمون دون يفقهون .

أى لا يعلمون القول بأن (علمها عند الله) ويجهلون أن الله هو العالم بوقتها دون غيره ، فأكثروا السؤال عن وقتها .

فسياق الآية بما فيه من حديث عن سؤالهم عن وقت الساعة وأن الله هو الذى يأتى بها لوقتها وأن مجيئها بغته ...

كل ذلك لنفى العلم بالقول : (علمها عند الله) وليس لنفى فقههم ذلك القول وتدبره ؛ لأنهم لم يسألوا عن الحكمة من استئثار علم الله بها .

١٢٥- وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢)

سياق الآية لنفى العلم بالقول (ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) لا لنفى فقهه - لأنهم ليسوا فى موضع السائل المتأمل فى بسط الرزق لبعض دون بعض ، وإنما هم فى موضع المتجبرين المتباهين بغناهم ظانين أنهم أفضل من أهل الإيمان كما

---

(١) الآية ١٨٧ الأعراف .

(٢) الآية ٣٦ سورة سبأ .

أخبرت الآيات قبلها : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ * وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلاداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ (١)

لذلك نفى الله علمهم بأن البسط والقبض من الله ، فضلا عن انتفاء فقه ذلك.

(الفــــرق الثـــانى)

العلم قد يكون إدراك مفرد (تصورا) وقد يكون إدراك حكم (تصديقا) وهو معنى قولهم : « متعلق العلم إما حكم أو غيره » (٢)

أما الفقه فإنه يكون إدراك حكم ، وإذعانا به ، ولا يكون متعلقة مفردا - فهو نسبة تامة بين أمرين ، يكون العلم بها تصديقا ، سواء كان هذا الحكم عقليا ، أم عرفيا ، أم شرعيا.

وجميع شواهد العلم والفقه دالة على ذلك ؛ وهى كثيرة .

وقد ذكرنا عند الحديث عن الفرق الرابع بين العلم والمعرفة شواهد كثيرة تبين فرق تعدى العلم لمفعول وتعديه لمفعولين .

ومن الشواهد التى يتجلى فيها الفرق بين تعلق العلم بمفرد (مفعول واحد) وبين تعلقه بمفعولين ، أى بنسبة بينهما ما يأتى :

١٢٦- قال تعالى : ﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ

---

(١) الآيتان ٣٤، ٣٥ سورة سبأ .

(٢) التلويح للسعد على التوضيح ١٢/١ وفيه « الحكم يطلق فى العرف علي إسناد أمر إلى آخر ، أى نسبته إليه بالايجاب والسلب ، وفى اصطلاح الأصول علي خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتضاء أو التخيير ، وفى اصطلاح المنطق على إدارك أن النسبة واقعة أو ليست بواقعة، ويسمى تصديقا » الموضع نفسه .

معْكُوفًا أن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (١)

(لم تعلموهم) أى لم تدركوا أشخاصهم ، ولم تتصوروهم فى أذهانكم ، لكى لا يحصل لهم أذى منكم عند دخول مكة .

فالعلم هنا إدراك مفرد (تصور).

١٢٧- وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(٢)

قوله : « فإن علمتوهن مؤمنات » ليس المعنى على العلم بذواتهن ، وإدراكهن تصوراً ، وإنما على معنى العلم بنسبة الإيمان لهن ، والحكم عليهن بذلك تيقنا وإذعانا ، لأن المفعولين أصلهما ركنا إسناد (متبدأ وخبر).

فالعلم فى هذه الآية علم بحكم ونسبة ، وليس علما بمفرد كالآية التى بيناها قبلها ، وهذا واضح جلى .

أما الفقه فإنه يكون إدراك حكم ، و إذعانا به ، ولا يكون متعلقه مفرداً ،

(١) الآية ٢٥ سورة الفتح .
(٢) الآية ١٠ سورة الممتحنة .

لأنه فهم الكلام وتدبرله ، فهو نسبة تامة بين أمرين يكون العلم بها تصديقا ، وجميع الآيات المشتملة على الفقه دالة على ذلك .

١٢٨- قال تعالى : ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ (١)

ينفون فهمهم ما بلغهم عن ربه من أوامر وأحكام وتوجيهات فى الآيات التى تسبق هذه الآية . فمفهوم متعلق الفقه كما فسروه . أحكام لا مفردات . (٢)

١٢٩- وقال تعالى : ﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ (٣)

إخبار من الله بما دعا به موسى ربه ، بأن يهيئ له إفهامهم وفهمهم عنه فهما جيداً ، فالمراد بفقهم أن يعلموا عن ربهم ما يبلغه لهم من أحكام ، وهى أصول دين الله الذى جاءهم به ، فمفهوم متعلق الفقه أحكام لا مفردات كما قلنا .

« الفـــرق الثــــالــــث »

الفقه يحتاج إلى فطنة وتدبر، ودقة نظر، أما العلم فقد يكون إدراكا لمعلوم بعيد يحتاج إلى فكر وتدبر ، وقد يكون لمعلوم قريب ، يكون العلم به بدهياً .

والإعجاز القرآنى يجلى لنا ذلك فى محكم آياته . ومن شواهد ذلك آيتان متجاورتان تتحدثان عن آيات الله فى خلقه وتفصيلها ، لكن خصص إدراك التفصيل فى إحداهما بأهل العلم ، وإدراك التفصيل في الأخرى بأهل الفقه :

---

(١) الآية ٩١ سورة هود.

(٢) انظر الكشاف ٢/٢٨٨ والبحر المحيط ٥/٢٥٦.

(٣) الآيتان ٢٧ ، ٢٨ سورة طه .

١٣٠- قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ (١)

فالسياق للآيتين لتعديد ظواهر الخلق الدالة على قدرة الله جل وعلا . لكن لما كانت الآية الأولى تضم ما يسهل الوصول إلى إدراك حكمته عقبت التفصيل فيها بأنه لقوم يعلمون ، أما الآية الثانية فقد عقبت بالفقه للآيات لما فيها من أمور تحتاج إلى تأمل وفكر للوصول إليها .

قال الزمخشرى : « فإن قلت : لم قيل (يعلمون) مع ذكر النجوم ، و(يفقهون) مع ذكر إنشاء بنى آدم ؟ قلت : كان إنشاء الإنس من نفس واحدة ، وتصريفهم بين أحوال مختلفة ألطف وأدق صنعة وتدبيرا ، فكان الفقه الذى هو استعمال فطنة وتدقيق نظر مطابقا له » (٢).

وقال البقاعى عند قوله تعالى : (قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون) : « لما كان إنشاء الناس من نفس واحدة ، وتصريفهم على تلك الوجوه المختلفة بلغ حدا ألطف وأدق صنعة ، فكان ذلك محتاجاً إلى تدبر ، واستعمال فطنة ، وتدقيق نظر - قال : « لقوم يفقهون » أى لهم أهلية الفقه والفطنة » (٣).

وبهذا التفسير قال أبو حيان: « لما كان الاهتداء بالنجوم واضحا ختمه بقوله (يعلمون) أى من له أدنى إدراك ينتفع بالنظر فى النجوم وفائدتها ، ولما كان

(١) الآيتان ٩٧ ، ٩٨ سورة الأنعام .
(٢) الكشاف ٣٩/٢ .
(٣) نظم الدرر ٢٠٨/٧.

الإنشاء من نفس واحدة والتصرف فى أحوال كثيرة يحتاج إلى فكر وتدقيق نظر - ختمه بقوله : « يفقهون » إذا الفقه هو استعمال فطنة ودقة نظر وفكر ، فناسب ختم كل جملة بما يناسب ما صدر به الكلام » (١)

لكن ابن المنير يخالف في ذلك قائلا : « التحقيق : أنه لما أريد فصل كليهما بفاصلة تنبيها على استغلال كل واحدة منهما بالمقصود من الحجة (كره) فصلهما بفاصلتين متساويتين فى اللفظ ؛ لما فى ذلك من التكرار ، فعدل إلى فاصلة مخالفة تحسينا للنظم ، واتساقا فى البلاغة ، ويحتمل وجها آخر فى تخصيص الأولى بالعلم، والثانية بالفقه ، وهو أنه لما كان المقصود التعريض بمن لا يتدبر آيات الله، ولايعتبر بمخلوقاته ، وكانت الآيات المذكورة أولا خارجة عن أنفس النظار ومنافية لها؛ إذا النجوم والنظر فيها وعلم الحكمة الإلهية فى تدبيره لها ، أمر خارج عن نفس الناظر ، ولا كذلك النظر فى إنشائهم من نفس واحدة ، وتقلباتهم فى أطوار مختلفة ، وأحوال متغايرة ، فإنه نظر لا يعدو نفس الناظر ولا يتجاوزها . فإذا تمهد ذلك فجهل الإنسان بنفسه وبأحواله ، وعدم النظر فيها والتفكر أبشع من جهله بالأمور الخارجة عنه كالنجوم والأفلاك ، ومقادير سيرها وتقلبها ، فلما كان الفقه أدنى درجات العلم ، إذ هو عبارة عن الفهم ، نفى من أبشع القبيلين جهلا ، وهم الذين يتبصرون فى أنفسهم ، ونفى الأدنى أبشع من نفى الأعلى درجة ، فخص به أسوأ الفريق حالا ... » (٢).

هذا كلامه ، ونحن نناقشه من وجوه .

---

(١) البحر المحيط ١٨٨/٤.

(٢) الإنصاف من الكشاف ٣٩/٢ .

الـــوجـه الأول : أنه يرى اختلاف الفاصلتين للتنويع بينهما لتحسين النظم ، ونحن إذا ارتضينا ذلك نكتة إلا أننا لا نراها نكتة كافية بذاتها ، وغرضا مقصوداً بمفرده ، دون نكتة أخرى تكون هى الأصل فى ذلك ؛ لأن تنويع الفاصلة لا ينظر إليه إلا اذا كان موائما للسياق، فقد نرى اتفاق الفاصلتين فى اللفظ ، لأن السياق يأبى اختلافهما فيه ، ولذلك شواهد ، منه :

١٣١- قوله تعالى : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾[1].

فالفاصلتان فى الآيتين متفقتان فى اللفظ ، لأن لفظهما هو المناسب لحديث الآيتين عن علم يضر ولا ينفع ، وإنما هو فتنة وأن من اشتراه خاسر فى الدنيا والآخرة، وذلك فى الآية الأولى وأنهم لوكانوا يعلمون لآمنوا واتقوا فنالوا المثوبة من الله تعالى لكنهم لم يعلموا ذلك ، وهذا فى الآية الثانية ، فالسياق يستدعى الفصل بالعلم فى الآيتين ، هذا فضلا عن أن الآية التى سبقت هاتين الآيتين مختومة - أيضا - بالعلم ، وإن كان على سبيل النفى .

الوجة الثانى : أنه يرى أن الآيات إذا كانت خارجة عن نفس الناظر إليها كان الجهل بها أخف ، ويكون المناسب نفى العلم للجهل بها .

(١) الآيتان ١٠٢ ، ١٠٣ سورة البقرة .

أما الجهل بما يتصل بنفس الناظر فإنه يكون بشعا يناسبه نفى الفقه الذى هو أدنى درجات العلم؛ للدلالة بنفى الأدنى على نفى الأعلى .

وهذا الاحتجاج مردود بما نراه من نظم القرآن الكريم ، فقد جاء نفى الفقه عند الجهل بآيات الله فى كونه وأنه المالك لخزائن السموات والأرض ، وجاء نفى العلم عند الجهل بما يتصف به الناظر فى أمر نفسه ومن حوله من بنى جلدته .

١٣٢- قال تعالى : ﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ * يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (١)

فإنه لما كان إدراك الحكم فى الآية الأولى وهو قوله تعالى : « ولله خزائن السموات والأرض » أمرا خارجا عن نفس المتأمل - يتعلق بالكون وخالقه ، ويحتاج إلى دقة نظر وتدبر وفقه - نفى عن المنافقين - لجهلهم هذا - الفقه والتدبر بقوله تعالى : « ولكن المنافقين لا يفقهون » .

ولكون الحكم فى الآية الثانية « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » يتصل بالناظر، وهو قريب من الإدراك لظهور شواهده وعلاماته التى تدرك بأدنى تأمل نفى العلم لجهلهم به .

يشهد لظهور علاماته ماجرى من أحداث عندما زعم رأس النفاق عبدالله بن أبى بن سلول أنه ومن معه من الأعزاء سيخرجون الرسول ومن معه من الأذلاء ، فقد

(١) الآيتان ٧، ٨ سورة المنافقون .

قهرته الحقائق متجلية للعيان ، إذ جاءه ابنه عبدالله رضى الله عنه عندما سمع مقالة أبيه ، وقال له : أنت والله ياأبت الأذل ورسول الله ﷺ الأعز ، وجرد سيفه عليه ، ومنعه من دخول المدينة حتى يأذن رسول الله ﷺ ، وتحقق قهره وإقراره بعزة الرسول ﷺ [١] ثم لا يخفى عليك أن نفى العلم بما يسهل يستلزم نفى الفقه لمايدق ويلطف؛ لما بين العلم والفقة من عموم وخصوص .

الوجه الثالث : أن ما يراه من أن الفقه أدنى درجات العلم يخالف ما ثبت لنا وقررناه عن أهل اللغة من أن الفقه حاصل تأمل وتدبر لكلام ، وإدراك لتأويله.

وآيات القرآن الكريم التى جاءت فيها مادة (فقه) واضحة الدلالة على دقة الفقه واعتماده على التأمل والتدبر ، أما العلم فلعمومه قد يكون بدهيا لكون المعلوم لا يحتاج إلى إعمال فكر ودقة نظر لكونه حضوريا ، تصورا كان أو تصديقا.

ومما يزيد ذلك تأكيد بيان أن القرآن الكريم عندما نعى على الكافرين المعاندين جهلهم الذى ساقهم إلى العناد والكفر تدرج فى ذلك من نفى الفقه عنهم الذى هو خاصة أهل العلم والتأمل إلى نفى السمع والبصر الذى يشترك فيه عامة الناس لفقد فائدته ، ليدل على أنهم فى أسوأ حالات الجهل التى لا يعلمون فيها شيئا.

[١١٢] قال تعالى : ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ

(١) انظر القصة فى كتب التفسير عند تفسير الآية وفى البحر المحيط ١/٢٧٤.

يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾ .(١)

١٣٣- وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾(٢).

فقد تقدم فى الآيتين نفى الفقه الذى يكون للخاصة، ثم تبعه نفى السمع والبصر اللذين يشترك فيهما جميع الناس ، ويصيبون بهما العلم تصوراً ثم تصديقا، فكان فى هذا ترق فى وصفهم بالضلال والجهل من حالة إلى حالة هى أسوأ منها ، إذ عدم الإدراك الذى يشترك فيه الكثرة أسوأ من عدم الفقه الذى هو للخاصة.

(تنوع حديث القرآن الكريم عن الفقه)

تحدث القرآن الكريم فى سياقات مختلفة عن جوانب عدة تتصل بالفقه.

فقد ذم القرآن الكريم من يحرم الفقه والتدبر فى آيات الله .

[١١١] قال تعالى : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾(٣).

يعيب عليهم عدم فهمهم ما يخبرون به .. كما بين لهم أن عدم الفقه يوقع فى الخطأ.

(١) الآية ٢٥ سورة الأنعام.
(٢) الآية ١٧٩ سورة الأعراف .
(٣) الآية ٧٨ سورة النساء.

١٣٤- قال تعالى : ﴿ لأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ ﴾ (١)

كذلك بين القرآن الكريم أن الجهل وعدم الفقه والفهم يسبب الهزيمة.

١٣٥- قال تعالى : ﴿ يا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ ﴾ (٢).

ويعد الفقه مطلبا من مطالب الأمة الإسلامية

١٣٦- قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾(٣)

وقد تحدث القرآن الكريم عن ثلاثة جوانب مهمة سنتناولها تفصيلا لارتباطها بدلالة الكلمة واستعمالها ، وهى :

حديثه عن محله وما يمنع منه ، ثم الحديث عما يتصل بآلته التى يحصل بها وهى اللغة ، وحديثه عن معنى الكلمة عرفا.

(١) الآية ١٣ سورة الحشر .
(٢) الآية ٦٥ سورة الأنفال .
(٣) الآية ١٢٢ التوبة .

(محـل الفقـه ومـا يمـنع منـه)

يدلنا حديث القرآن الكريم عن العلم والفقه أنهما يتعلقان بالقلب، وأنه محلهما، وقد يطبع الله عليه فيمنع منهما.

وقد أخبر الله عن الطبع عليه ومنع العلم به فى آيتين ، وكذلك عن منع الفقه بسببه فى آيتين أخريين.

أما الطبع المنفى معه الفقه فقد جاء عند حديث القرآن الكريم عن المنافقين الذين لا يفقهون الآيات وحقيقة الإيمان والاستجابة للدعوة إليه.

١٣٧- قال تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ ﴾[١].

فقد نفى عنهم الفقه الموصل إلى الإيمان الحق ؛ لأنه طبع على قلوبهم فحرمهم هذا الطبع من دقائق العلم والفهم.

ويتحدث عنهم القرآن الكريم فى موضع آخر عندما يسمعون ما ينزل عليهم من الآيات البينات فيعرضون نتيجة عدم فقههم لما جاءهم

١٣٨- قال تعالى : ﴿ وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَاعِدِينَ * رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ ﴾ [٢]

---

(١) الآيتان ٢، ٣ سورة المنافقون .

(٢) الآيتان ٨٦، ٨٧ سورة التوبة .

ثم لما استمرءوا إعراضهم وكذبهم فى الاستئذان مع غناهم ، ورضوا بأن يكونوا مع النساء متخلفين عن القتال أخبر الله عنهم بانتفاء العلم على عمومه ، فضلا عن التدبر والفقه فى آيات الله - فى الآية الآتية :

[٦٤] - قال تعالى : ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ (١)

أى لا يعلمون شيئا يصل بهم إلى ما ينجيهم من المؤاخذة على ما فعلوا .

كما جاء نفى العلم نتيجة للطبع على قلوب الذين ينكرون القرآن ويرفضون الاستجابة له، نفيا للعام المقتضى نفى الخاص وهو الفقه فيه ؛ ذراية بهم ، وتبكيتا لهم.

[٦٥]- قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُبْطِلُونَ * كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾(٢)

أى لا يعلمون شيئا.

وإذا كان الطبع على القلوب قد جاء مع العلم للدلالة على المنع منه ومع الفقه للمنع منه ؛ لكون الطبع كما قالوا يثبت أثره فى المطبوع عليه ويلزمه ولا يزول (٣)- فإن القرآن الكريم عندما تحدث عن جعل الأكنة على القلوب لم يكن إلا فى سياقات

---

(١) الآية ٩٣ سورة التوبة .

(٢) الآيتان ٥٨ ، ٥٩ سورة الروم .

(٣) انظر الفروق فى اللغة ٦٤.

نفى الفقه ، دون نفى العلم ؛ لأن حقيقة كننت الشئ صنته ، والموضع الكنين المصون، وقد يكون الشئ كنينا وإن لم يكن مستوراً [١]، وقد جاءت الآيات الأربع التى ذكرت فيها الأكنة بحرف الجر (على) فى ثلاث منها دلالة على إحاطة الكنان بالقلب، ومنعه من أن يفقه . وبحرف الجر (فى) فى آية ؛ دلالة على صونه -أيضا- وبعده عن الفقه .

[١١٢] قال تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [٢]

وقد ذهب الزمخشرى أن ذكر الأكنة على سبيل التمثيل قال : «والأكنة على القلوب ، والوقر فى الآذان مثل فى نبو قلوبهم ومسامعهم عن قبوله ، واعتقاد صحته» [٣]

أى أنهم فى حد من الغباوة كمن قلبه فى كنان وغطاء يمنعه من الفقه والفهم. [٤]

١٣٩- وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴾ [٥]

هم يعلمون فصاحته وإعجازه لهم ، لكنهم منعوا من فقهه والتدبر فيه.

(١) انظر المرجع السابق ٢٨١.
(٢) الآية ٢٥ سورة الأنعام .
(٣) الكشاف ٢/١١.
(٤) انظر البحر المحيط ٤/٩٧.
(٥) الآية ٤٦ سورة الإسراء.

١٤٠- وقـال تعـالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾(١)

وقـد جـاء حـرف الجـر (فى) دلالة على ظرفـيـة القلوب فى الأكنة فى الآية الآتية:

١٤١- قـال تعـالى : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴾(٢)

أى أننا لا نفقه ما تقول ، لأن قلوبنا مصونة من ذلك.

(آلــة الفــقه)

إذا كان الفقه - كما سبق القول - هو العلم بمقتضى كلام ، وحاصل تأمله - فإنه يتعين لتحقيق ذلك أمران :

الأول : العلم بلغة الكلام الذى يتـأمل فـيـه ، ويتـفطن له . لأنه لا سبـيـل إلى إدراك ما يراد منه إلا بذلك .

يتجلى لنا ذلك مما يحكيه القرآن الكريم من قصة ذى القرنين .

١٤٢- قـال تعـالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴾(٣)

---

(١) الآية ٥٧ سورة الكهف .
(٢)الآية ٥ سورة فصلت .
(٣) الآية ٩٣ سورة الكهف .

أى لا يكادون يفهمون ما يقال لهم إلا بجهد مشقة ، ومعونة إشارة ، وغيرها ، كما يفهم البكم؛ لأنهم لا يعرفون لغة ذى القرنين وجنده.

وفى هذا دلالة على أهمية تعلم لغة من نتعامل معهم ليتيسر الإفهام والفهم . كما أن تعليم لغة الأمة ونشرها بين الدول الأخرى ضرورى ومهم لفهم ما يدعو إليه ديننا الحنيف فى كتابه الحكيم وحديث النبى ﷺ.

الأمر الآخر : أن يكون الكلام المطلوب فهمه فصيحا خاليا من اللكنة وشوائب العجمة ، يشير إلى ذلك حديث القرآن الكريم عن دعاء موسى عليه السلام ربه أن يحل عقدة لسانه ليفهم فرعون وبنو إسرائيل ما يدعوهم إليه فهما جيدا.

[١٢٩] قال تعالى : ﴿ **وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي** ﴾(١)

وقد استجاب الله دعوته ، قال تعالى : ﴿ **قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ** ﴾(٢)

وفى هذا دلالة على أهمية الفصاحة والبيان ، وأهمية تنقية اللسان مما أصابه من وهن العجمة وعقدها التى حلت بأبناء العروبة ، فأفزعت الخواطر وأقلقت المضاجع.

إذ رأينا جيلا غريبا غريبا عن أبناء جلدته ، ولغته ، ودينه ، مرض لسانه ، وتعلق بلغة العجم وثقافاته ، ودعا بدعوة الشيطان التى تحرك فى النفوس كراهية لغة القرآن الكريم ، بدعوى صعوبتها حينا ، وعدم عصريتها حينا آخر ، حتى رأينا

---

(١) الآيتان ٢٧ ، ٢٨ سورة طه .
(٢) الآية ٣٦ سورة طه .

داعى الشر يسعى بتخفيف مناهجها بمناهج شائهة ماسخة أبعدت أبناء العربية عن روحها ، وحالت بينهم وبين المهيع الواسع من تاريخهم وثراثهم الحافل بفكرة ونصوصه .

ورأينا فينا نبتا ضعيفا خائرا لا يعرف لنفسه طريقا ، غير طريق التبعية فكان صورة شائهة للنطق والفكر معا ، وأصبح فينا خلف يأجوج ومأجوج ممن لا يفصحون ولا يكادون يفقهون قولا .

(معنى الفقه عرفا)

علمنا أن الفقه يراد به العلم بما يقتضيه قول بعد تأمله وفهمه . يستوى فى ذلك كون الكلام الذى هو محل التأمل متصلا بأمور الدين ، أم بأمور الدينا . ومن شواهد القرآن الكريم مايدل على ذلك .

[١٤٢] قال تعالى : ﴿ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴾ (١)

أى لا يفهون أى كلام يقال لهم إلا بجهد ومشقة ،دون تخصيص بكونه كلام يتصل بالعقيدة أوغيرها .

قال أبو حيان : « وقرأ الأعمش وابن أبى ليلى ، وخلف ، وابن عيسى الأصيهانى ، وحمزة ، والكسائى (يفقهون) بضم الياء ، وكسر القاف ، أى يفهمون السامع كلامهم ، ولا يبينونه ، لأن لغتهم غريبة مجهولة » (٢).

(١) من الآية ٩٣ سورة الكهف .
(٢) البحر المحيط ١٦٣/٦.

فالفقه هنا عام شامل لكل قول دون تخصيص بأمور دنيوية أو أخروية بدلالة القرائن .

لكن أكثر شواهد القرآن الكريم يفهم منها استعمال الفقه استعمالا يغلب فيه الدلالة على جانب الدين أكثر من جانب الدينا .

[١٢٩] قال تعالى : ﴿ واحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ (١)

أى يفهموا عنى ما أقوله لهم ، ولا يخفى أن محل اهتمامه جانب الدعوة والهداية لهم .

[١٢٨] وقال تعالى : ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ (٢)

أى لا نعترف بصحة كلامك ، سواء ما كان منه متصلا بالدنيا وما كان متصلا بالآخرة ، وإن كان كلامه فى الدين أكثر .

ويظهر هذا التغليب فى نفى الفقه عن كثير من الإنس والجن فى :

[١٣٣] قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (٣)

---

(١) الآيتان ٢٧ ، ٢٨ سورة طه .
(٢) من الآية ٩١ سورة هود .
(٣) الآية ١٧٩ سورة الأعراف.

فالمعنى هنا - والله أعلم - على نفى الفقه المتصل بأمور الدين والآخرة ، بقرينة فقههم لأمور كثيرة من الدنيا ، وذكر الضلال فى الآية ، والتسوية بينهم وبين الأنعام ، وهى تسوية فى عدم فقه أمور الآخرة .

[١٣٦] وقوله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (١)

ففى الآية تغليب لجانب الدين بإطلاق الفقه متعلقا صراحة بالدين .

ولذلك قال أهل اللغة : « وغلب على علم الدين لسيادته وشرفه ، وفضله على سائر أنواع العلم ، كما غلب النجم على الثريا » (٢)

ثم صار الأمر إلى تخصيص الفقه فى العرف بعلم الشريعة .

قال ابن منظور : « وقد جعله العرف خاصا بعلم الشريعة ، وتخصيصا بعلم الفروع منها » (٣).

ويذكر الراغب أحد معانية قائلا : « والفقه العلم بأحكام الشريعة » (٤).

ثم عرفوا الفقه فى العرف بأنه « العلم بالأحكام الشرعية العملية من أدلته التفصيلية » وقال السعد شارحا لذلك : خرج العلم بغير الأحكام من الذوات والصفات ، والعلم بالأحكام غير المأخوذة من الشرع كالأحكام المأخوذة من العقل ، كالعلم بأن العالم حادث ، أو من الحس ، كالعلم بأن النار محرقة ، أو من الوضع

---

(١) من الآية ١٢٢ سورة التوبة.
(٢) لسان العرب ٣٤٥٠.
(٣) لسان العرب ٣٤٥٠.
(٤) المفردات ٣٨٤.

والاصطلاح ، كالعلم بأن الفاعل مرفوع ، وخرج العلم بالأحكام الشرعية النظرية ، وتسمى اعتقادية وأصلية ، ككون الإجماع حجة ، والإيمان واجب ، وخرج أيضا علم الله تعالى ، وعلم جبريل والرسول عليهما الصلاة والسلام ، وكذا علم المقلد ، لأنه لم يحصل من الأدلة التفصيلية » [١]

فالفقه فى العرف - إذا - هو الإذعان بالقضايا والأحكام الشرعية فى كتاب الله وسنة رسوله لتكون مصدراً لهذا التصديق والعمل به ، والله أعلم .

---

(١) التلويح على متن التنفيح ١٢/١.

المبحث الثالث

الفرق بين المعرفة والفقه

« المبحث الثالث »

الفرق بين المعرفة والفقه

اتضح لنا من بيان الفرق بين العلم والمعرفة، وبينه وبين الفقه خصائص كل من المعرفة والفقه ، وهما وإن اتفقا معاً ، والتقيا فى مطلق العلم ، وأنهما يقومان على التأمل لتحصيلهما - إلا أن بينهما فروقاً ، منها :

الفـــــرق الأول : المعرفة إدراك مفرد (تصور) أما الفقه فهو إدراك حكم (تصديق) تدل على ذلك شواهد القرآن الكريم. فمن شواهده للمعرفة :

[٩] قوله تعالى : ﴿ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ (١).

أى تدرك أشخاصهم بعلاماتهم التى تدل على فقرهم وحاجتهم فالسياق للمعرفة لا للفقه.

١٤٣- وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾(٢).

أى أقرب إلى إدراك أنهن نساء النبى والمؤمنين، والإدراك هنا إدراك مفرد ، وليس إدراك حكم.

[١٢] وقال تعالى : ﴿ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ ﴾(٣).

(١) من الآية ٢٧٣ البقرة.
(٢) الآية ٥٩ سورة الأحزاب.
(٣) الآية ٤١ سورة الرحمن .

أى تدرك أشخاصهم متميزين بعلاماتهم ، فالعلم هنا بمفرد وليس بحكم ، فالسياق للمعرفة وليس للفقه.

أما الفقه فإنه تصديق بحكم وإدراك له . إثباتاً كان أو نفياً.

١٤٤- قال تعالى : ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ (١).

أى لو كانوا يفقهون هذا الحكم (نار جهنم أشد حرا) لارتدعوا بعد إدراكهم هذه الحقيقه وتصديقهم بها . فالتأمل تأمل ونظر فى كلام ليحصل الفقه الذى يكون به الرشاد ، لكن المحدث عنهم لا يفقهون .

[١١١] وقال تعالى : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾(٢).

أى لا يفهمون الحقيقة الثابتة التى نبلغها لهم «كل من عند الله » وغيرها من الآيات التى ينزلها الله على نبيه.

[١٤٠] وقال تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ ﴾ (٣).

أى يفقهوا القرآن ويتدبروا أحكامه وتوجيهاته .

وهكذا كلما كان الحديث عن الفقه كان حديثاً عن إدراك حكم وقضية ثابتة

(١) من الآية ٨١ سورة التوبة.
(٢) الآية ٧٨ سورة النساء
(٣) من الآية ٥٧ سورة الكهف.

وتصديقاً بها على سبيل الإثبات أو النفى سواء كان هذا الحكم عقلياً، أم شرعياً، أم عرفياً .

الفرق الثانى : ويلحق الفرق الأول أن المعرفة لكونها إدراك مفرد فهى عيان بالحس أو بالقلب أما الفقه فَهُو إدراك بالعقل والفكر . تدلنا على ذلك شواهدهما فى القرآن الكريم .

فمن شواهد المعرفة :

[٢٥] قوله تعالى : ﴿ **تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ** ﴾[١] .

أى تحس بناظريك جمال النعيم بادياً لك على وجوههم ، فمتعلق المعرفة مدرك حسى ، لا يصح أن يتعلق به الفقه .

[٢٠] وقال تعالى : ﴿ **تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ** ﴾[٢] .

أى ترى فى وجوههم من العلامات التى تعرفك إنكارهم وإعراضهم، فالمنكر بعلاماته المميزة مشاهد على وجوههم.

[٤٨] وقال تعالى : ﴿ **يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ** ﴾[٣] .

أى يعرفون نعمة الله ويدركون إدراك مشاهدة بالبصر ، ما ذكره الله تعالى فى الآيات ، من جعل البيوت لهم ، واتخاذهم من جلود الأنعام بيوتاً ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً يتمتعون به ، وقد من على خلقه من الحفظ فى ظلال

---

(١) الآية ٢٤ سورة المطففين .

(٢) من الآية ٧٢ سورة الحج.

(٣) الآية ٨٣ سورة النحل .

الأشجار والجبال ، وما اتخذوه من سرابيل تقيهم البأس وتقيهم ما يكرهون، كل هذه آيات مشاهدة مرئية ، ومن الفضل الذى يقر كل عاقل بأنه من الله تعالى ، لكن يوجد من الناس من ينكرها بتكذيب من يأتى بالتنبيه عليها فيعبدون غير المنعم ، جهلاً منهم أو عناداً (١).

[٤٧] وقال تعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٢).

أى ترون آيات الله من الدخان وانشقاق القمر ، وما يحل بهم من نقم فى الدنيا ، فتعرفون أن ذلك الذى تشاهدونه من الله تعالى . فالمعرفة مشاهدة بالعين وإدراك لما تعلق به النظر وشوهد به .

ومن شواهد المعاينة بالقلب

[٤٦] قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (٣).

(مما عرفوا من الحق) أى ما أدركوا صدقه إدراك معاينة بالقلب ، لأنهم لما سمعوا - أى النجاشى وقومه وغيرهم من النصارى - ما أخبر الله به عن عيسى فيما قرأه عليهم جعفر بن أبى طالب من القرآن علموا أن هذا وما قرأوه فى الإنجيل يخرج من مشكاة واحدة (٤).

---

(١) انظر نظم الدرر ٢٢٨/١١.
(٢) الآية ٩٣ سورة النمل
(٣) الآية ٨٣ سورة المائدة.
(٤) انظر الكشاف ٦٣٨/١.

أما الفقه فهو تحصيل بالعقل وإدراك بالفكر والتأمل.

١٤٥- قال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ (١).

وتصريف الآيات تنويعها لتلائم عقول الناس ، وليفقهوا ويعقلوا ما جاءت به ومادلت عليه من قدرة الله تعالى .

[١٣٤] وقال تعالى : ﴿ لأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ ﴾ (٢).

أي لا يتدبرون ولا يعقلون أن من يستحق الرهبة هو الله تعالى ، لكنهم يفقدون عقولهم ولا يفقهون .

وهكذا جميع شواهد الفقه ، فهي تدل على التعقل والتدبر بالفكر والنظر.

الفرق الثالث : المعرفة علم حضوري ضروري بدهي ، لأن متعلق المعرفة يكون حاضراً يعرف بأماراته وسماته ، أما الفقه فإنه علم كسبي يحتاج إلى نظر وتحصيل، لأنه مقتضى كلام بعد تأمله .

[١١] فقوله تعالى : ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ ﴾ (٣).

المعرفة هنا بدهية، لأنها قائمة على شواهد وأمارات تميز هؤلاء - أي أصحاب الأعراف - عن غيرهم ، فمجرد الرؤية كاف لتحقق المعرفة .

---

(١) الآية ٦٥ سورة الأنعام

(٢) الآية ١٣ سورة الحشر.

(٣) من الآية ٤٨ سورة الأعراف .

[٤٩] وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (١).

المعرفة تتعلق بشئ حاضر مشاهد ، عندما يفتحون رحالهم يعرفون ما فيها ، فليست المعرفة هنا محتاجة إلى نظر وكسب.

أما الفقه فإنه يحتاج إلى نظر ودقة استدلال ، لأنه تدبر ما يؤول إليه كلام عند النظر فيه .

وفيه يختلف أربابه تبعاً لصفاء أذهانهم ، وجودة ملكاتهم وكذلك يتنوع عطاء الكلام ويرتقى تبعاً لمصدره ، وأعلاه كلام الله تعالى .

فمن الناس من يمن الله عليه بالفقه فى كتابه وتدبر آياته .

[١٣٠] قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ (٢).

أى أنعم الله بتفصيل الآيات لمن جعلهم أهل فهم وفقه وتدبر لها . وحرم الله من أراد به خيبة المآل - من الفقه والفهم .

[١١٣] قال تعالى : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (٣).

أى ليس عندكم فهم وتدبر لما يسبحون الله به .

(١) الآية ٦٢ سورة يوسف .
(٢) الآية ٩٨ سورة الأنعام .
(٣) الآية ٤٤ سورة الإسراء .

الفـرق الرابع : المعرفة لا يتعين أن تكون مسبوقة بعدم ، فقد تكون مسبوقة به، وقد تكون حضور علم سابق بمتعلقها . وشواهدهما تدل على ذلك.

[١٣] قال تعالى : ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴾ (١).

(لأريناكهم) واقعة فى جواب (لو) وهذه الرؤية التى رتبت عليها المعرفة لم تكن حاصلة قبل، وكذلك المعرفة، فالمعرفة مسبوقة بعدم وقوع.

[٤٦] وقوله تعالى : ﴿ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ﴾(٢).

فمعرفة الحق حصلت بعد أن كانوا غير عارفين له .

ومن شواهد المعرفة التى هى حضور علم سابق .

[٥٠] قوله تعالى : ﴿ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴾ (٣).

فإنه يعرفهم منذ نشأته لأنهم إخوته ، فلما رآهم بعد غيبته عنهم عاد إليه علمه بهم ، وصورتهم التى فى ذهنه عنهم فلم ينشأ له علم ، وإنما ذكرهم وعرفهم ولم ينكرهم .

[٤٩] وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (٤).

---

(١) الآية ٣٠ سورة محمد .
(٢) من الآية ٨٣ سورة المائدة.
(٣) الآية ٥٨ سورة يوسف
(٤) الآية ٦٢ سورة يوسف.

فالمعرفة هنا ليست نشأة علم بالبضاعة، وإنما عودته إلى أذهانهم عند رؤيتهم لها؛ لأنها غير مجهولة ولاهم ينكرونها .

أما الفقه فإنه مسبوق بعدم وجهل بمتعلقه ، لأنه حاصل نظر وتدبر.

[١٣٦] قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾(١).

فالفقه هنا تحصيل علم لم يكن حاصلاً ، وإدراك لمقاصد الدين وتوجيهاته للعمل بها . والله أعلم.

[١٢٩] وقال تعالى : ﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي . يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ (٢).

يدعو موسى عليه السلام بحل عقدة لسانه ليحصل قومه الفقه لما يقوله لهم، ويزول جهلهم به . وهكذا جميع شواهد الفقه . والله أعلم .

هذا . وقد وضح لنا بعد بيان هذه الفروق بين المعرفة والفقه أنهما لا يلتقيان إلا فى معنى العلم على إطلاق دون تقييد بمتعلق معين . ولا تكون المعرفة فقهاً كما لا يكون الفقه معرفة . وقد جاء الإستعمال القرآنى مراعى فيه هذه الفروق ، دون تأويل باستعمال أحدهما مكان الآخر .

---

(١) الآية ١٢٢ سورة التوبة.
(٢) الآيتان ٢٧ ، ٢٨ سورة طه .

خاتمة

«وبعد » فقد تم لنا بحول الله تعالى ومَنّه - فى مباحث هذه الدراسة- ما أملناه من بيان الفروق بين كل من العلم ، والمعرفة ، والفقه فى الدلالة ، واستعمالها فى النظم القرآنى.

وقد وضح من خلال الدراسة أن الكلمات الثلاث - وصيغها- تلتقى معاً فى مطلق العلم ، أى الإدراك مطلقاً ؛ إذ كل معرفة علم ، وليس كل علم معرفة ، وكل فقه علم، وليس كل علم فقهاً.

وتلتقى المعرفة مع الفقه فى كونهما إدراكاً قائما على التأمل والنظر ، لكن المعرفة تختص بالتأمل فى الأمارات والسمات المشاهدة بالحس للأشياء المفردة ، ويختص الفقه بأنه تأمل فى مقتضى كلام، ويكون متعلقه حكماً لا مفرداً ؛ لذا لا تكون المعرفة فقهاً ، كما لا يكون الفقه معرفة .

وقد تجلى من التأمل فى النظم القرآنى وتدبره أن كل كلمة من الكلمات الثلاث ، وصيغ مادتها - قد جاءت فى موضعها من النظم بمعناها الذى بيناه . دون تأويل فيها.

فقد فقهنا - مثلا- من خلال تتبع الشواهد - أن المجئ بالعلم دون المعرفة والفقه فى قوله تعالى ! ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾[١] لأن المقام للعلم دون المعرفة والفقه.

(١) من الآية ٤٣ سورة النساء ، وهو الشاهد رقم ١٢١.

وأن المجئ بالفقه دون العلم والمعرفة فى قوله تعالى :﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ ﴾.(١) لأن المقام للفقه دون العلم والمعرفة .

وكذلك المجئ بالفقه مع التسبيح دون العلم والمعرفة فى قوله تعالى :﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (٢).

لأن المقام له ، بعكس مجئ العلم دون الفقه والمعرفة مع التسبيح فى قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (٣) لأنه مطلوب النظم والسياق .

وكذلك كان المجئ بالفقه دون المعرفة فى قوله تعالى : ﴿ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ (٤) وفى قوله تعالى : ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾(٥) لأن السياق للمعرفة ، إذ لا تقول فى غير القرآن الكريم : تفقه فلانا بسيماه، وكذلك لا نقول فلان يفقه نعمة الله .

وكذلك المجئ بالفقه دون المعرفة فى قوله تعالى : ﴿ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾(٦) وفى قوله تعالى : ﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي . يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾(٧).

(١) من الآية ٩١ سورة هود ، وهو الشاهد رقم ١٢٨.
(٢) الآية ٤٤ سورة لإسراء ، وهى الشاهد ١١٣.
(٣) الآية ٤١ سورة النور . الشاهد ١٢٠.
(٤) الآية ٢٧٣ سورة البقرة . الشاهد ٩.
(٥) من الآية ٨٣ سورة النحل الشاهد ٤٨.
(٦) الآية ٤٤ سورة الإسراء الشاهد ١١٣.
(٧) الآيتان ٢٧ . ٢٨ سورة طه الشاهد ١٢٩.

لأن المقام له ؛ إذ لا يقال فى غير القرآن الكريم : ولكن لا تعرفون تسبيحهم ، ولا يقال : حلَّ الله عقدة لسانه فعرف الناس قوله ، لأن ذلك لن يكون إلا كلاماً مغسولاً كما يقولون.

وقد أنعمنا التدبر فى قوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ ﴾ (١) وفقهنا عدم تأويل العلم فيها بالمعرفة ، بأن يكون المعنى كما قال أبو هلال العسكرى: لا تعرفونهم الله يعرفهم ؛ لأنه لا صحة لتأويل العلم المسند إلى الله تعالى بالمعرفة ؛ لأن المعرفة والفقه - كما بينا- لا يناسبان جلال المولى عز وعلا- لقيامهما على التأمل والتمييز فى المشاهدات مع المعرفة ، وفى الأقوال والأحكام مع الفقه .

وقد بذلنا فى هذه الدراسة ما وسعنا الجهد لتبين سياقات هذه الكلمات ، ومقاماتها التى تستعمل فيها في (١٤٤) مائة وأربعة وأربعين شاهداً من مجموع شواهدها فى القرآن الكريم الذى وصل إلى (٩٣٥) تسعمائه وخمسة وثلاثين شاهداً منها (٨٤٤) ثمانمائة وأربعة وأربعون لمادة العلم و(٧١) واحد وسبعون شاهداً لمادة المعرفة و(٢٠) عشرون شاهد لمادة الفقه (٢).

(١) الآية ٦٠ سورة الأنفال الشاهد ١٦.

(٢) رجعنا فى حصر الشواهد إلى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم وضع محمد فؤاد عبد الباقى صفحة ٥٦٢ وما بعدها وصفحة ٥٧٦ وما بعدها وصفحة ٦٣٥.

وقد وفَّى ما استشهدنا به - فيما نعتقد - ببيان ما هدفنا إليه ، وما تركناه من الشواهد قد وفى ما يماثله وكفى عنه فى الدلالة والاستعمال ، من ذلك على سبيل المثال اكتفاؤنا بالإستشهاد بقوله تعالى : ﴿ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ (١) عن الاستشهاد بقوله تعالى : ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ (٢).

وقد تحاشينا بذلك الإطناب الذى يؤدى إلى تَرَهُّل الدراسة ولا تكون وراءه فائدة غير فائدة الإستقصاء.

ثم يبقى الأمل فى الله جل وعلا - أن يتقبل ما أحسَنَّا فيه ، وأن يتجاوز عن زلل نستغفر الله منه . وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

د/ محمود حمدان

---

(١) من الآية ٦٠ سورة الأنفال الشاهد ١٦.

(٢) الآية ١٠١ سورة التوبة .

فهرس الشواهد

تابع فهرس الشواهد

تابع فهرس الشواهد

تابع فهرس الشواهد

دليل المصادر والمراجع

	م
أساس البلاغة للزمخشرى . دار التنوير العربى - بيروت .	١
الأفعال للسرقسطى ق مهدى علام المطابع الأميرية .	٢
البحر المحيط تفسير أبى حيان - دار الفكر - بيروت .	٣
البرهان فى علوم القرآن للزركشى ق أبو الفصل ابراهيم عيسى البابى الحلبى أولى .	٤
التلويح للسعد التفتازانى على التوضيح لمتن التنقيح لابن مسعود البخارى مطبعة محمد على صبيح .	٥
تاج العروس للزبيدى . طبعة أولى - الخيرية بالجمالية ١٣٠٦هـ .	٦
التوضيح على التنقيح لابن مسعود البخارى مطبعة محمد صبيح .	٧
حاشية العطار على شرح الخبيصى على تهذبب المنطق للسعد التفتازانى مطبعة صبيح ثانية .	٨
جامع البيان فى تأويل آى القرآن للطبرى البابى الحلبى ثالثة .	٩
الجامع لأحكام القرآن - تفسير القرطبى مطبعة دار الشعب أولى.	١٠
سيرة ابن هشام مراجعة الشيخ محمد محيى الدين مطبعة دار الشعب .	١١
شرح البيجورى جوهرة التوحيد للقانى مطبعة صبيح .	١٢
شرح الخبيصى علي تهذيب المنطق للتفتازانى مطبعة صبيح .	١٣
شروح التلخيص - مطبعة السعادة .	١٤
الفروق فى اللغة لأبى هلال العسكرى - الآفاق الجديدة - بيروت .	١٥
الكشاف عن حقائق التنزيل ... للزمخشرى - البابى الحلبى .	١٦
لسان العرب لابن منظور دار المعارف أولى .	١٧
المطول على التلخيص لسعد الدين التفتازانى مطبعة أحمد كمال .	١٨
المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم محمد فؤاد عبدالباقى - دار الدعوة .	١٩
المفردات فى غريب القرآن الكريم للراغب الأصفهانى ق محمد كيلانى- مصطفى الحلبى .	٢٠
نظم الدرر فى تناسب الآى والسور برهان الدين البقاعى مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية- حيدر آباد ١٣٨٩هـ.	٢١

الفهـــرس العـــــام

تابع الفهـــرس العـــــام

رقم الايداع : ٢٠٠٢/١٩٨٤٤